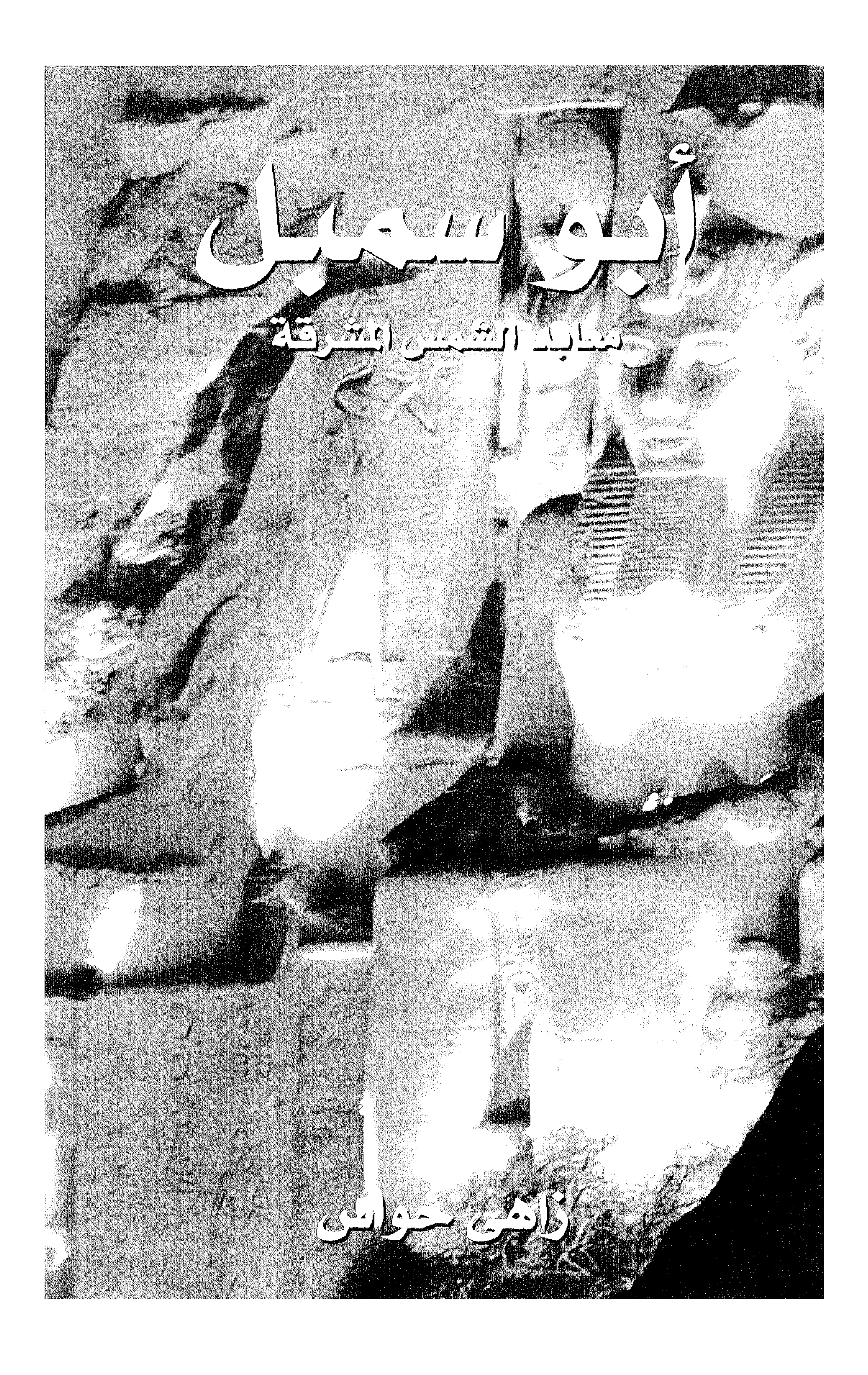
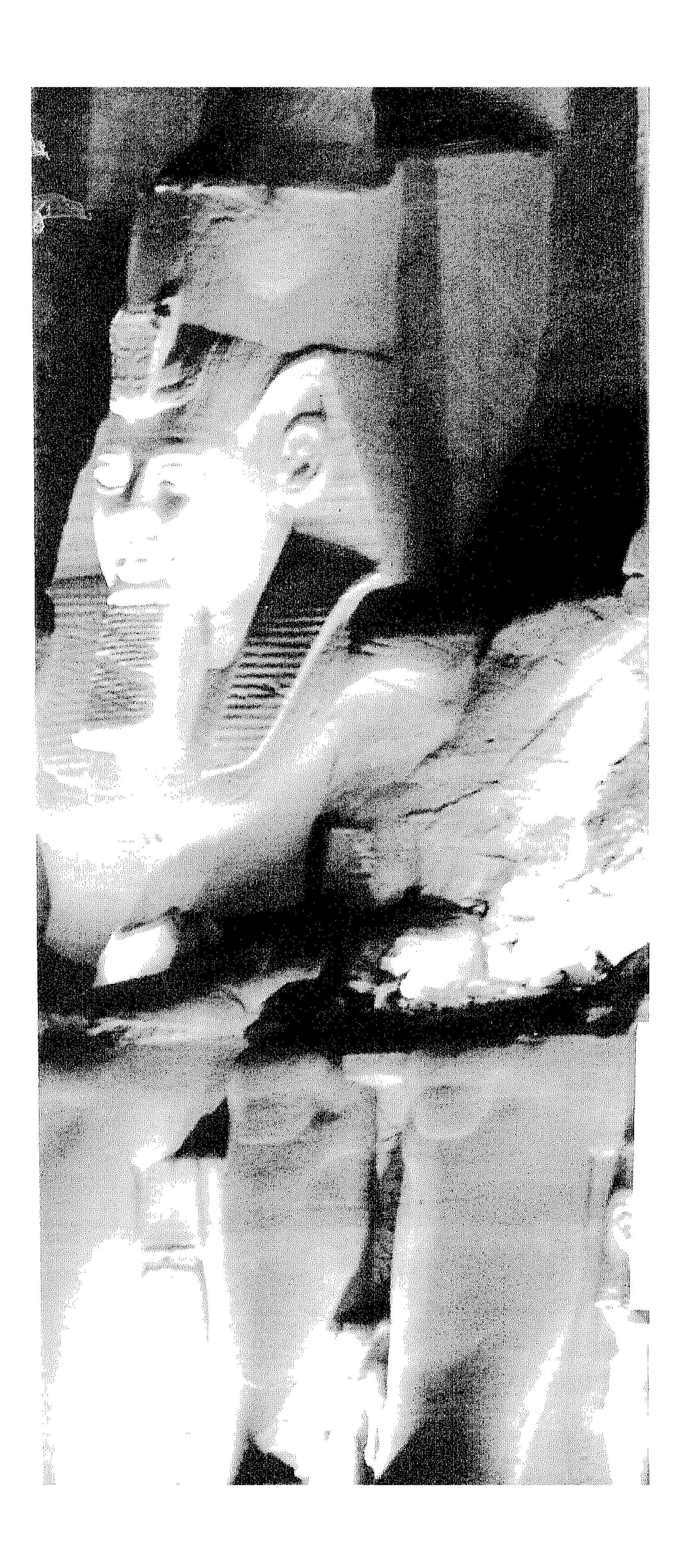

أبو سمبل
معابد الشمس المشرقة
زاهي حواس



أبو سمبل

معابد الشمس المشرقة



أبو سمبل

معابد الشمس المشرقة

زاهى حواس

تقديم السيد/ فاروق حسني
وزير الثقافة

الناشرون:
– شركة مصر للصوت و الضوء.
– صندوق التنمية الثقافية.
– دار الشروق.
بالتعاون مع قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠١/١٨٨١
ISBN 977-09-0682-4

طبع بمصر.

تقديم

قال سيتي الأول لابنه رمسيس الثانى : "إحكم – صبياً – مع والدك، وليمتد عمرك أبد الآبدين".

لقد كان ذلك حدس الملوك العباقرة الذين لا شك أسسوا ملكهم على قاعدة من القدرة والعلم فى فترة هي طفولة الحضارة عند الأمم وهي عنفوانها لديهم. ولقد امتد المجد برمسيس الثاني ملكاً عظيماً ورفع وجه مصر من أقصاها بأعمال خالدة هي الدرر في جبين الزمان، منها معبده العظيم بـ "أبو سمبل" كبوابة رائعة للجنوب ترهب الأعداء قبل أن تطأ أقدامهم أرض الوطن. فجاء تحفة مزجت بين الفن العبقري والعمارة العظيمة كي يصبح الخطأ فيه صفراً، وكي يؤنس وحدته شيد لمحبوبته نفرتارى معبداً بجواره ليصبح الموقع ساحراً متسيداً شاهداً على جلال الملوك وعظمتهم.

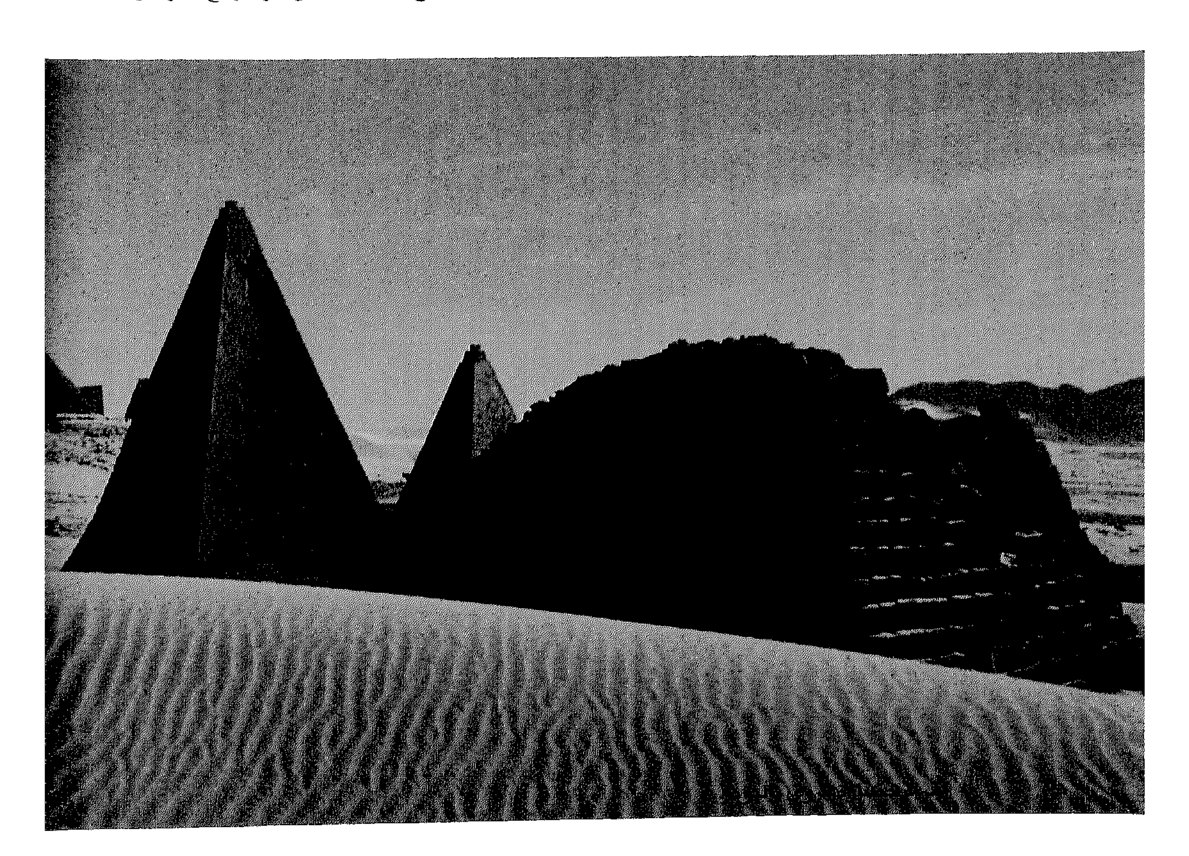
فهل يقيناً لم يتصور في لحظة ما أن يهتم الأحفاد بمعبده ذلك الذي تكاتف له العالم في عصرنا الحديث ليخلد اسمه ؟ واليوم يزيد التألق بعد أن تم للإنسان أن ينطق الحجر بالصوت والضوء ليحكي هذا الجلال والمجد.

فاروق حسني
وزير الثقافة



المقدمة

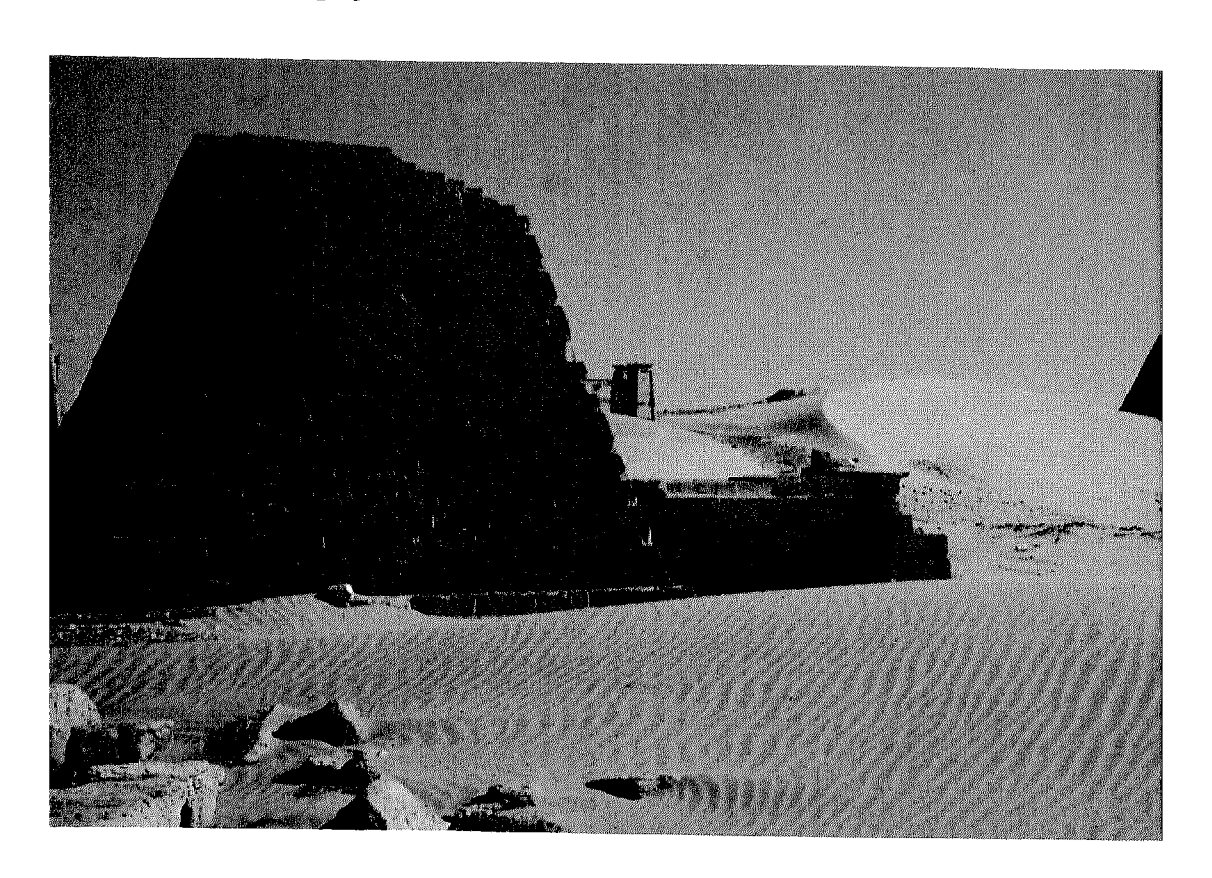
في ديسمبر عام ١٩٧٣، أصدر الدكتورحسن صبحي بكري مدير عام الإدارة العامة للتفاتيش والحفائر بهيئة الآثار المصرية. قراراً بندبي للعمل مديراً لآثار "أبوسمبل" لمدة ثلاثة شهور بدلاً من الزميل الأثري علي جمال الدين الذي قام بإجازة في ذلك الوقت. وقد كانت هذه المدة كافية لأقوم بدراسة وافية لمعبدي "أبوسمبل" بصفة خاصة وآثار النوبة بصفة عامة. وتعد هذه الفترة من أجمل فترات حياتي في عالم الآثار؛ نظراً لجمال الموقع وهدوئه؛ خاصة عندما تغادر الطائرة "أبو سمبل" عائدة إلى القاهرة؛ فيسود المكان هدوء غريب ويتحول دفء الشمس إلى برودة منعشة. وأعتقد أن هذه التجربة كان لها تأثير كبير في صفاء النفس وفي إزدياد معرفتي و حبي للآثار. وعندما كلفني الفنان فاروق حسني وزير الثقافة بكتابة هذا الكتاب؛ نظراً لعدم وجود أية معلومات متاحة عن المعبدين أمام السائح سواء المصري أو الأجنبي. أحسست مدى صدق إحساسه الثاقب. وأوصى أن تقوم إحدى دور النشر الكبرى بنشر الكتاب على مستوى عال يليق بتاريخ "أبو سمبل" وتاريخ فرعون

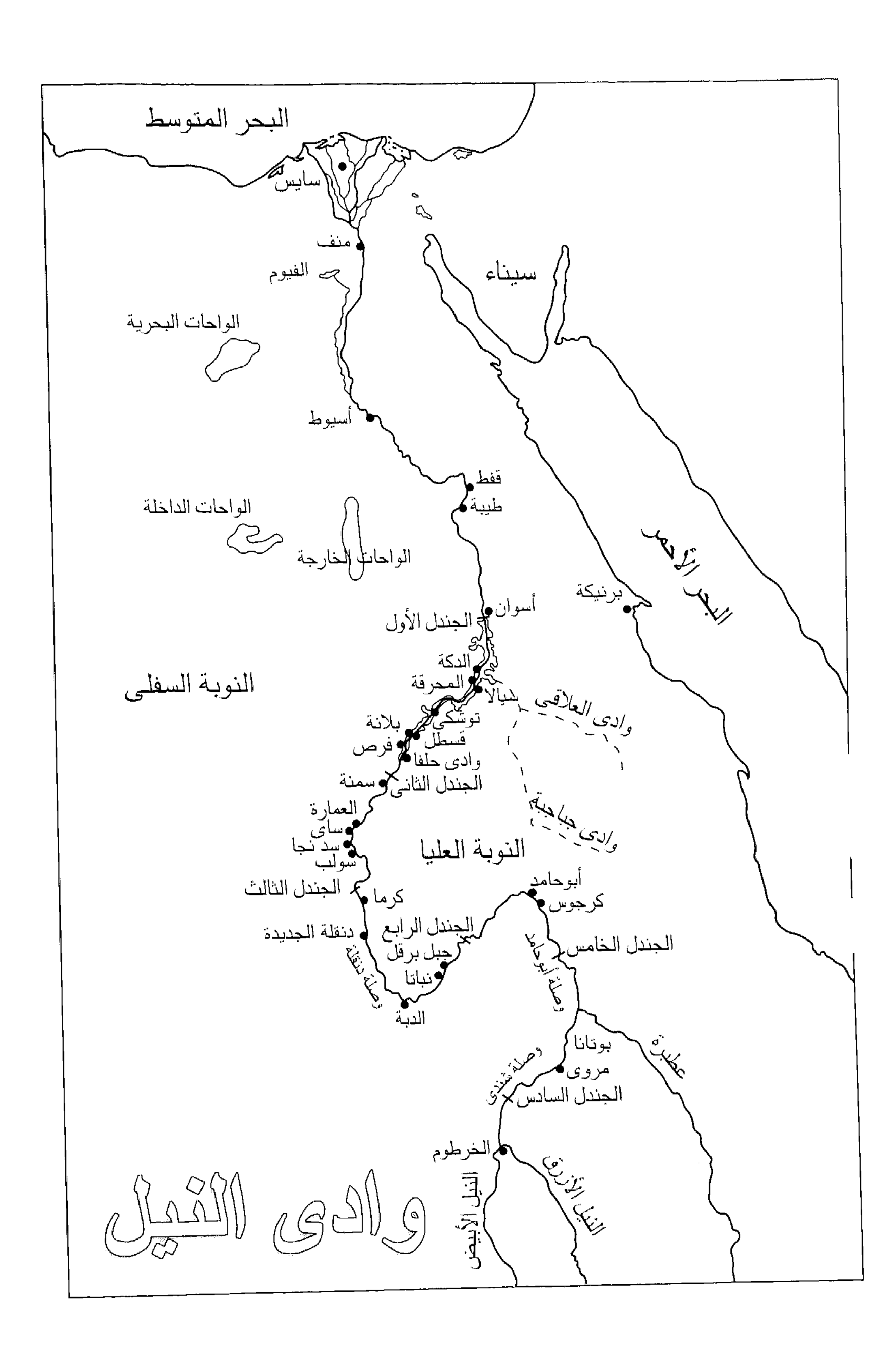


مصر رمسيس الثاني وزوجته جميلة الجميلات الملكة نفرتاري. وهنا أتوجه بالشكر إلى السيد الفنان فاروق حسني على اهتمامه بنشر هذا الكتاب. وإلى السيد مارك لينز مدير قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة على طبع هذا الكتاب. وإلى الصديق العزيز المرحوم الدكتور جمال مختار؛ إذ استعنت بمعلومات كثيرة عن نقل معبدي "أبو سمبل" عندما شاركته كتابة الإعداد العلمي لمشروع الصوت والضوء في منطقة "أبوسمبل". وأتوجه أيضاً بالشكر إلى اللواء محمد شفيق رئيس مجلس إدارة شركة مصر للصوت والضوء؛ نظراً لمشاركته في إعداد الصور الخاصة بطبع هذا الكتاب بصورة مبسطة. وأتوجه أيضاً بالشكر إلى العديد من زملائي في المكتب الفني بأهرام الجيزة، وأخص بالذكر السادة الأثريين طارق العوضي ورمضان بدري والحسين عبد البصير، وأحمد علام. لجهودهم سواء بالمراجعة أو الكتابة على الحاسب الآلي أو إعداد بعض الصور الموجودة بمكتبة الشرائح الملونة الخاصة بي عن "أبو سمبل". وللسيد كن جارت من الجمعية الجغرافية العالمية لإمدادنا ببعض الصور.

والله الموفق

زاهي حواس




البحر المتوسط
سايس
منف
الفيوم
سيناء
الواحات البحرية
أسيوط
قفط
طيبة
الواحات الداخلة
الواحات الخارجة
البحر الأحمر
برنيكة
أسوان
الجندل الأول
الدكة
المحرقة
النوبة السفلى
سيالا
وادى العلاقى
توشكى
بلانة
قسطل
فرص
وادى حلفا
سمنة
الجندل الثانى
العمارة
ساى
سد نجا
سولب
وادى جباجبة
النوبة العليا
الجندل الثالث
كرما
أبوحامد
كرجوس
الجندل الرابع
دنقلة الجديدة
الجندل الخامس
جبل برقل
نباتا
وصلة دنقلة
وصلة أبوحامد
الدبة
بوتانا
عطبرة
مروى
وصلة شندى
الجندل السادس
الخرطوم
وادى النيل
النيل الأبيض
النيل الأزرق

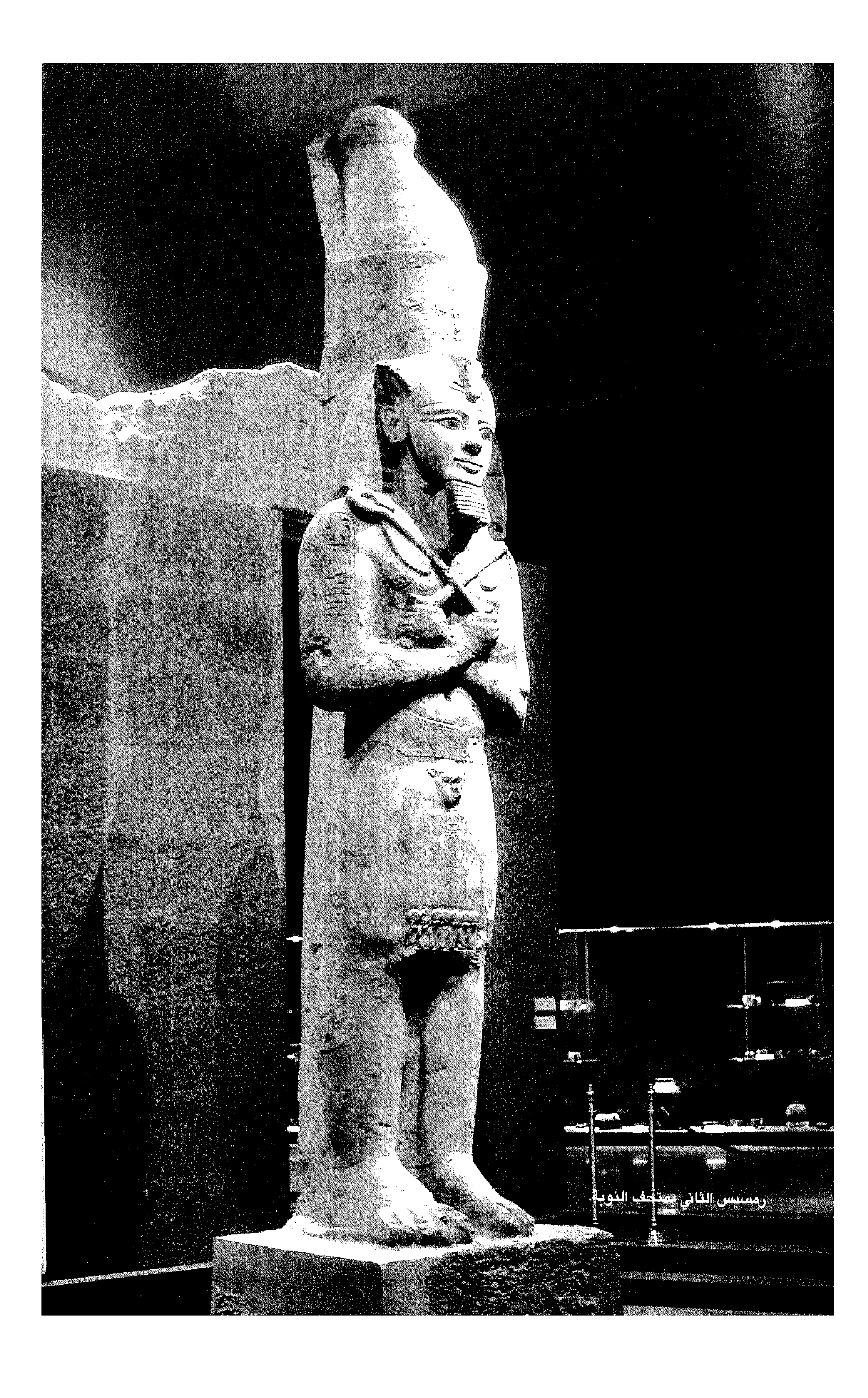
النوبة

البحر الأحمر
أسوان
الجندل الأول
فيلة
بيت الوالى
وادى السبوعة
عنيبة
قصر إبريم
أبو سمبل
توشكى
فرص
الجندل الثانى
العمارة
سيسيبى
نورى
الجندل الثالث
الجندل الرابع
الكورو
نورى
دنقلة القديمة
الجندل الخامس
نهر عطبرة
مروى
الجندل السادس
الخرطوم
النيل الأبيض
النيل الأزرق

النوبـة

الموقع والتاريخ

تمتد النوبة من الجندل الأول حتى السادس. وتغطى مساحة ٢٥٠ ألف كيلو متر. وتنقسم إلى النوبة السفلى وتقع فى مصر والنوبة العليا وتقع فى السودان. ويفصلهما الجندل الثانى عند وادى حلفا . والذي كان بمثابة الحد الجنوبي الطبيعي لمصر كما مثل حاجزاً منيعاً يفصل بين الشمال والجنوب. فهو بإمتداده الطويل الذى يزيد على مائة كيلو متر يعوق حركة الملاحة فى النهر. مما اضطر البعثات المصرية إلى إجتياز الطرق الوعرة للوصول إلى المناطق الجنوبية الواقعة جنوبه، وتبدأ من دارفور ودُنقلة إلى الغرب من النيل. وتتجه فى الصحراء إلى واحة سليمة، ثم إلى دنقول وكركور. ومنها إلى أسوان. وقد أطلق المصرى القديم على النوبة العليا اسم "كوش" والنوبة السفلي اسم "واوات". ثم صارت "كوش" بعد ذلك اسماً على النوبة كلها. وأطلق على أرض النوبة اسم "تاستى" بمعنى "أرض القوس" ذلك الاسم الذى كان يطلق على الإقليم الأول من أقاليم مصر العليا والذى كان يمتد حتى جبل السلسلة جنوباً. أما التسمية الحالية "نوبة"فيعتقد الكثيرون أنها مشتقة من الكلمة المصرية القديمة "نبو" وتعنى "الذهب". ذلك أن المصرى القديم كان قد استغل مناجم الذهب فى النوبة منذ الدولة الوسطى. ولم يعثر على هذه التسمية فى أى وثيقة من الوثائق المصرية القديمة أو البطلمية. و ذكر اسم النوبة للمرة الأولى فى كتاب الجغرافيا الذى ألفه المؤرخ الرومانى "سترابون". وخصص فيه الجزء السابع عشر لوصف مصر وبلاد الحبشة حوالى عام ٢٥ ق. م. و أطلق "سترابون" هذا التعريف الجغرافى على المنطقة التى تمتد من مروي (عند الجندل الرابع) جنوباً وتنتهى عند "أبو حمد" شمالاً. وقد عاشت عدة قبائل فى النوبة السفلى ورد ذكرها فى المصادر المصرية ومنها "واوات" التى كانت تقطن المنطقة حول كورسكو الحالية، وإيرثت. التي كانت تقطن المنطقة حول توماس الحالية، وقبيلة سشاو. وليس هناك ما يشير إلى أن المصادر التاريخية سواء المصرية أو اليونانية أو المروية تتحدث عن النوبيين على اعتبارهم من يسكنون النوبة و لم تقصد بعض التجمعات البشرية بعينها. فهل أطلقت كلمة "نوبة" على المكان كله أو على جزء منه ؟ وذكر بعض الأسماء فى المصادر المصرية واضح المعنى . فسمى المصريون، النوبيين فى عصر البرونز باسم "نحسيو" وهى كلمة تتضمن البدو، وأهل الوادي فى النوبة، و أهل منطقة بونت التي تقع فى المنطقة بين أثيوبيا والسودان. أما اسم "كوش" الذى ذكرناه من قبل فقد أطلق على النوبة بعد عام ١٥٥٠ ق.م. ويعنى بعض أو كل النوبة



رمسيس الثاني بمتحف النوبة.

العليا ثم أصبح "كوش" اسماً علي كل النوبة. و تشير الكشوف الأثرية الحديثة إلي الارتباط الوثيق بين حضارات وادي النيل شماله وجنوبه من خلال ما يعرف بـ "العصر الحجري القديم". ومنذ أكثر من ثلاثة عشر ألف عام ،طرأت تحولات حضارية علي أهل النوبة ؛ إذ عثر في موقع النبتة (١٧٠ كم شمال غرب "أبو سمبل") علي بقايا مساكن ومقابر تؤكد وجود مجتمع يرغب في الاستقرار، مما شكّل مرحلة انتقالية بين العصر الحجري القديم عصر التنقل والتجوال بحثاً عن الطعام وبين العصر الحجري الحديث عصر الاستقرار والمجتمعات الزراعية. وارتبطت المراكز الحضارية في النوبة السفلى بحضارات الصعيد خلال العصر الحجرى الحديث منذ بداية الألف السادس قبل الميلاد تقريباً. ويؤكد ذلك ما عثر عليه من أوان فخارية وصناعات حجرية حول منطقة الجندل الثاني، يمكن مقارنتها بمثيلاتها من حضارة البداري التي ازدهرت ما بين الأعوام ٥٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م. أما حضارة نقادة الأولى والثانية اللتان ازدهرتا في الصعيد قبل بزوغ العصر التاريخي، فقد انتشرتا في عدة مواقع نوبية نذكر منها وادي السبوعة وعنيبة و"أبوسمبل" وغيرها. وفي نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، كانت مصر تستهل عصرها التاريخي بمعرفة الكتابة و تحقيق وحدة شطريها ؛ الدلتا والصعيد علي يد أحد ملوك الصعيد "حور عحا" (مينا)، بينما لم تمكن الأمور سكان النوبة - نظراً لاختلاف الظروف البيئية والجغرافية وقسوة الحياة وضيق الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة - من تكوين ممالك قوية موحدة، وقد حدا ذلك ببعض العلماء إلى تقسيم تاريخ النوبة إلى مجموعات حضارية رمزوا إليها بالحروف الأوروبية مثل A- Group, Pre-Kerma Group, C-Group, Kerma Group. وبداية يجب الإقرار بوجود فجوات ونقص شديد في الأدلة الأثرية لكثير من فترات التاريخ النوبى. وعلى الرغم من ذلك، يمكننا رسم خريطة مبسطة لتاريخ هذه الحضارة ؛ فقبل العصر البرونزي النوبي ما بين الأعوام ٣٠٠٠ - ١٠٠٠ ق.م تبدو الخريطة الأثرية للنوبة مختلفة تماماً عنها في مراحلها التالية، فالمناخ في العصر الحجرى القديم كان مختلفاً تماماً، و كان معظم المساحات الصحراوية الآن موطناً للصيادين وجامعى الطعام .وتعرف الفترة ما بين الأعوام ٩٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م بالعصر الحجرى الوسيط بالخرطوم. وفي الفترة ما بين الأعوام ٤٥٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م ، حدثت تغيرات ملحوظة على المناخ حيث تركز معظم النشاط البشرى بالقرب من نهر النيل واختلفت المظاهر الأثرية من منطقة إلى أخرى واعتمد الاقتصاد على زراعة بعض المحاصيل واستئناس بعض أنواع الحيوانات، ضمن اقتصاديات العصر الحجرى الحديث. أما في العصر البرونزي، فإن الصورة الأثرية في النوبة تصبح أكثر وضوحاً. فبعد عام ٣٥٠٠ ق.م، ظهرت في النوبة السفلى ملامح تطور ملحوظ في الأدوات وارتباط بالبيئة الزراعية. وسميت المجموعات البشرية فى هذه المرحلة بـ A - Group وعمرت النوبة السفلى، وكانت نهايتها في عام



معبد "أبو سمبل" بريشة ديفيد روبرتس في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

٢٩٠٠ ق.م. وظلت النوبة السفلى خالية من السكان ما يقرب من ٦٠٠ عام.

وبالنسبة للنوبة العليا، يفترض بعض الباحثين أنها كانت خالية من السكان في العصر الحجرى الحديث، وهذا الرأى لا يمكن تأييده نظراً لقيام العديد من أعمال الحفائر العلمية المنظمة بهذه المناطق، وأثبتت وجود عصر حجري حديث متميز بها، وشاعت حضارات كبيرة ومؤثرة ذات مواقع مهمة مثل "الشاهيناب" و"القاديرو" و"الكدادة" و"جيلي" وغيرها. وفي العصر البرونزى، عاشت القبائل الرعوية في شرق وغرب المناطق الجنوبية حتى النوبة العليا. وقد عُثر على آثارهم في شقدود وفي عطباى الجنوبية وفي دلتات نهرى بركة وجاش. وفي حوالى عام ٢٤٠٠ ق.م. استقرت جماعة Kerma - Group المتطورة عن Pre - Kerma - Group في النوبة العليا، واستمرت حتى عام ١٥٠٠ ق.م. وربما بعد ذلك. في حين أعيد استيطان النوبة السفلى في عام ٢٤٠٠ ق.م، واستمرت مظاهر حضارتها حتى ١٧٠٠/ ١٥٠٠ ق . م وأطلق عليها اسم C-Group.

البناء الاجتماعى والسياسى

إن الحديث عن البناء الاجتماعى والسياسى لـ A - Group جزء من نقاش طويل بين الباحثين. إذ سارت آراؤهم في إتجاهين : الأول يرى أن النوبيين في عصرهم البرونزي عاشوا داخل تكوينات اجتماعية مرتبطة يحكمها زعيم "Chief" فيما يعرف بنظام القبائل "Chiefdoms"، فيما عدا منطقة كرما التى عاشت لفترة قصيرة من تاريخها داخل تنظيم المدينة .

أما الإتجاه الثانى، فيرى أصحابه وعلى رأسهم David O'Connor أن النظام الاجتماعى والسياسى للنوبة في العصرالبرونزي كان شديد الترابط والمركزية، وغطت تنظيماتها مقاطعات عديدة وكانت أقرب أو في سبيلها إلى تنظيم الدويلات والممالك States - Kingdoms عن كونها قبائل Chiefdoms.

وبرر أصحاب هذا الإتجاه وجود تنظيم الدولة ومملكة للنوبة في عصرها البرونزي بالأدلة الأثرية. بل قرروا أن أصحاب الإتجاه الأول القائل بالتنظيم القبلى للجماعات النوبية وقعوا فريسة للمقارنة بين النوبة وجارتها العظيمة مصر التى تحوز الإعجاب والدهشة وتجعل كل ما بجوارها ضئيلاً، ومن هنا نظر إلى النوبة على أنها القزمة بجوار العملاقة مصر، وأن ما هو موجود فيها من تنظيمات وإدارات ومظاهر حضارية تأثير مصري.

إن الاختلاف في وجهات النظر حول النوبة ليس حديث العهد، إنما هو قديم ومطروق في المصادر التاريخية نفسها. وبينما قال بعض الكتاب الإغريق والرومان أن : الآخرين لا يحبون النوبيين. وأن النوبيين : هم أول الرجال الذين بجلوا الآلهة وسعدوا برضائها. حتى أن البعض يعتقد أن المصريين هم نوبيون في الأصل هاجروا من النوبة إلى مصر. وإذا كان بعض الإغريق قد اعترفوا بأن علومهم وفنونهم وديانتهم جاءت من مصر، فيمكن للبعض أيضاً أن يعتقد أن اليونان والحضارة الغربية لها جذور نوبية، كما أن لها أصول مصرية.

أما عن الدليل الأثرى الذى يعتمد عليه أصحاب هذا الإتجاه فهو جبانات Group - A خاصة الجبانة (٢٧٧)، والجبانة (٤٠١) والمكتشفتين بواسطة البعثة الإسكندينافية، وتقعان جنوب النوبة السفلى.

أما الجبانة (٢٧٧) فيمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام من حيث حجم وغنى دفناتها. والقسم الأول من هذه الجبانة هو أكثرها غنى وحجماً، وتمثله مقبرتان عثر في إحداهما على عقد من حبات الذهب الذى لم يكن متوفراً أو موجوداً في هذه الجبانة بالإضافة إلى الأدوات الحجرية من أوان وأدوات بعضها مستورد من مصر، وأغطية الرأس الجلدية التى تغطى رأس المتوفى، والمراوح من ريش النعام والصلايات وغيرها من الأشياء الغالية القيمة التى لا يمكن أن تتوفر لشخص عادى، بل إن

دفنات السيدات والأطفال أيضاً في هذه الجبانة تخضع لنفس التقسيم الطبقى السابق. فهناك أطفال ميزوا عن غيرهم حيث احتوتهم دفنات أكبر بكثير من أجسادهم ودُفن معهم عدد من المؤن الجنائزية التى لا تتوافر لغيرهم، وتتميز هذه الدفنات بوجود بيضة نعام مع دفنات الاطفال. وهذه البيضة لا تتوافر كثيراً مع دفنات من هم أكبر سناً من المراهقين والشباب ؛ مما دعى إلى الإعتقاد أن البيضة هنا ما هي إلا غذاء وضع للاطفال أو أن لها فكراً ومغزى دينياً خاصاً، حيث تمكن الطفل من أن يُولد من جديد من خلالها.

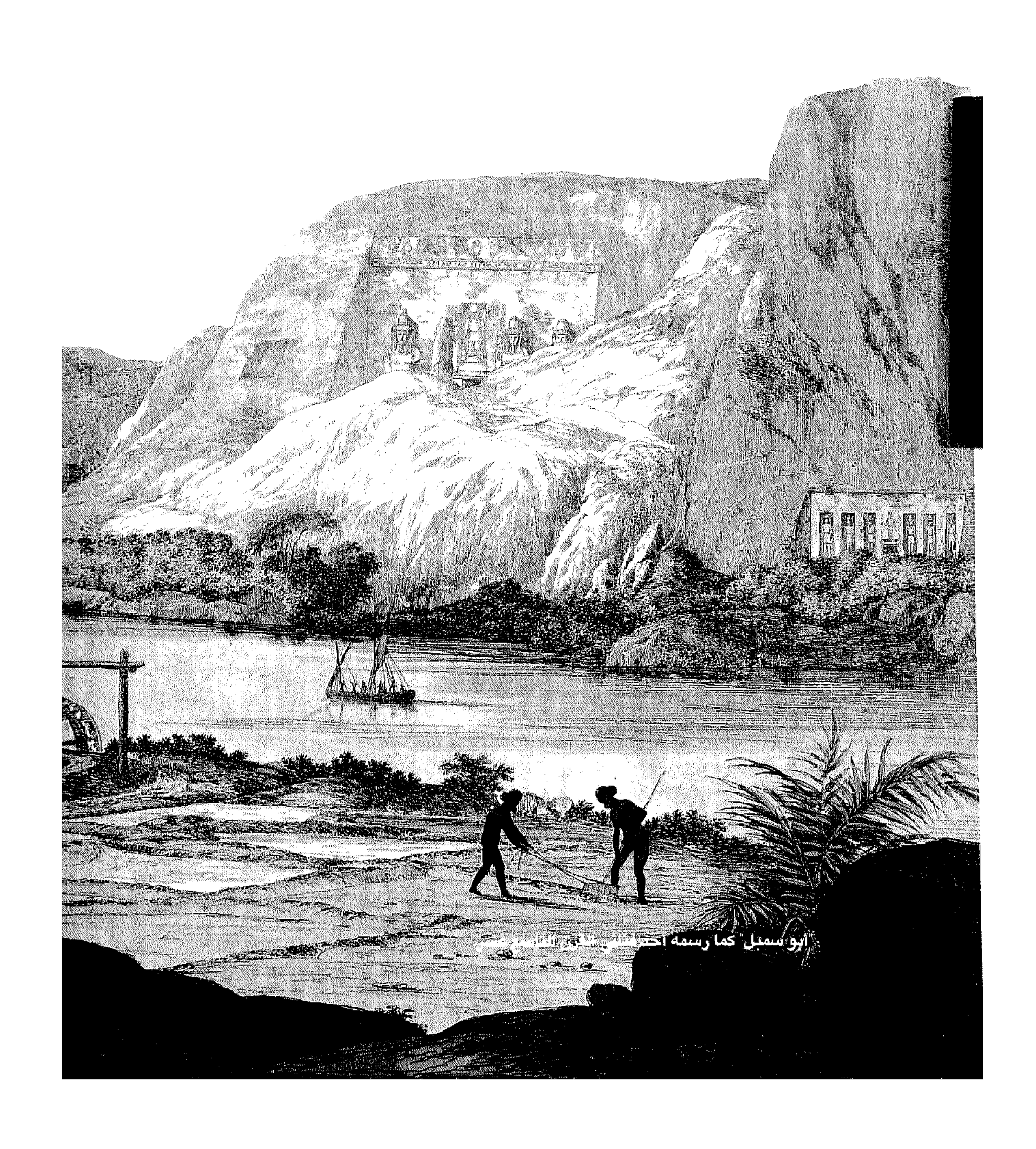
أما الجبانة (٤٠١) فهى أقل حجماً وعدد مقابرها أقل وإنْ كانت أكثر غنى وترجع إلى فترة متأخرة من تاريخ A- Group.

وبلا شك، فإن وجود هذا التقسيم الطبقى في الجبانات يدل على وجود مجتمع طبقى ذى مستويات اجتماعية واقتصادية مختلفة، ويؤكد أيضاً وجود تنظيم اجتماعى وسياسى أرقى من المتوافر في المجتمعات القبلية ؛ فالقبيلة لا توجد بداخلها هذه الفوارق الاجتماعية والطبقية.

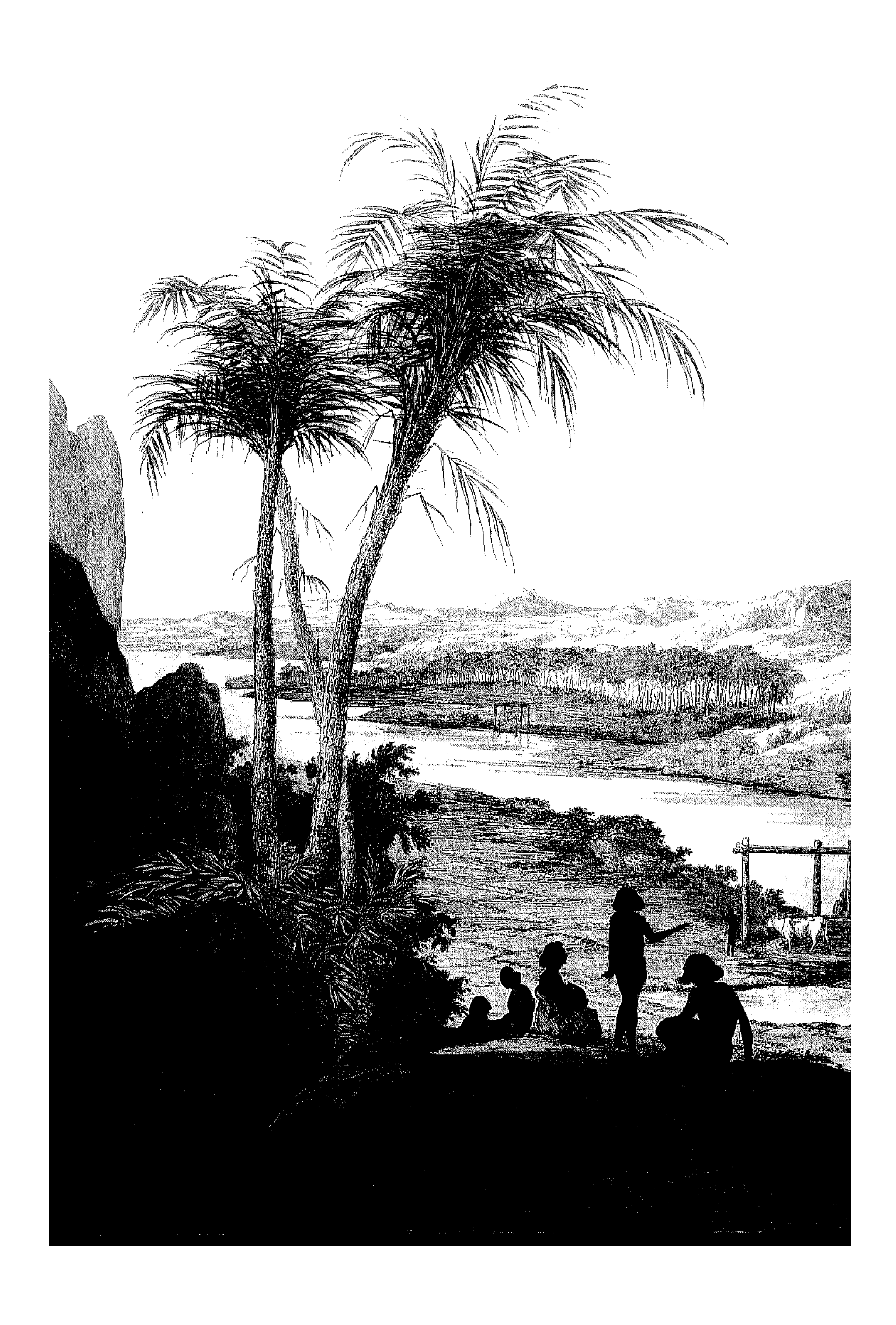
وبناء على أصحاب الإتجاه الثانى يمكن اعتبار حكام A- Group ملوكاً، ويمكن أن نطلق لفظ ملك علي الحاكم في مجتمع A- Group. والدليل علي هذا الرأي، الجبانة التى اكتشفت بواسطة معهد الدراسات الشرقية بشيكاغو بين الأعوام ١٩٦٢-١٩٦٤م. و أطلق عليها الجبانة "L". وهى قريبة من القرية الحديثة "قسطل Qustul" وتؤرخ بأواخر A-Group، وتحتوى على ٢٣ دفنة ؛ ويؤكد طرازها وحجمها وضعها غير العادى بالنسبة لحضارة A-Group، فمعظم الدفنات بها عبارة عن حفرة متسعة مفتوحة بحجرة جانبية، وهي طراز نادر. والدفنات الأخرى عبارة عن حفرات متسعة الأحجام بصورة أضخم مما هو معروف في تاريخ الـ A-Group، مما يؤكد أن من دفنوا فى هذه الجبانة كانوا من ذوي الحيثية والنفوذ والقوة، وانهار سقف الدفنات داخل الحفر، ونهبت محتوياتها أو حرقت والباقى منها مهشم. وقد عُثر على كميات ضئيلة من الذهب والنحاس. وتحتوى معظم الدفنات على أوان حجرية مصرية الصناعة، وأخرى ذات طراز آسيوى من فلسطين وسوريا ربما وصلت إلى النوبة بطريقة غير مباشرة عن طريق مصر.

وقد نشر الجبانة Bruce Williams الذى قال أن الجبانة "L" هى أقدم جبانة فرعونية الطراز في وادي النيل، وأن فراعنة النوبة لم يسيطروا فقط علي النوبة السفلى وإنما سيطروا كذلك على الأجزاء الجنوبية من مصر. وبالمقارنة بجبانة الأسرة "صفر" فى أبيدوس يتضح حسب رأى Bruce Williams أن ملوك التوحيد وخلفاءهم ورثة حكام النوبة، وعلى هذا فإن الحضارة المصرية لها جذور نوبية !!!

ورغم وجود المنتجات الحضارية المصرية والأجنبية، فإن دفنات الجبانة "L" تنتمى لحضارة A-Group، ومنتجاتها من الفخار المزخرف خير دليل على ذلك.



أبو سمبل" كما رسمه احد فناني القرن التاسع عشر



إن الأهمية الحقيقية لجبانة قسطل QUSTUL ترجع إلى حجمها وغنى دفناتها، وتشير بوضوح إلى وجود حكام، ويعتقد David O' connor أنها ربما تحتوي على دفنات من ثلاثة إلى ثمانية حكام، بينما يعتقد Bruce Williams أنهم من عشرة إلى إثني عشر حاكماً. وحكم هؤلاء الحكام النوبة السفلى كوحدة سياسية واحدة ؛ وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسة الجغرافية للجبانة وحجمها السكاني يشيران إلى أن أصحابها عاشوا في قبيلة (Chiefdom) معقدة البناء وليس مدينة أو دويلة State. وكان حكامها من النفوذ والقوة بحيث أطلق عليهم حكام أو ملوك. وعلى هذا فلقد كان هناك جزء من النوبة في سبيله إلى تكوين مجتمع المدينة ؛ بل كان في طريقه نحو ما يعرف بتنظيم المملكة Kingdom تماماً كالبدايات التي شهدتها مصر في تكوين المدينة ثم المملكة. ليس هذا فقط ففي العصر الكلاسي لـA-Group، كان هناك حكام مثل ذلك الحاكم الذي دفن في الجبانة (١٣٧) ومعه صولجانان كرمز للحكم استوردا من مصر، وزخرف مقبضاهما بصفوف من الحيوانات. و بلا شك فإن دراسة هذه الجبانات والمقابر تشير إلى وجود كيان اجتماعي سياسي قائم بذاته. ونتج عن فتح الحدود وقيام صلات تجارية بين مصر والنوبة ؛ أنْ وجدت مظاهر حضارية مصرية وأخرى سورية -فلسطينية في النوبة.

ويُعتقد أن تطور النوبة الاجتماعي، جاء عن طريق مجتمع كان في طريقه لبناء دولة مترابطة قوية وليس عن طريق قبائل رعوية، وقد تكون الحملات المصرية في الأسرة صفر والأسرة الأولى سبباً مباشراً في عدم قيام هذه الدولة. ويرى بعض الباحثين أن النوبيين كانوا يتعرضون لهجمات قبائل همجية قادمة من الجنوب، اندفعت في هجومها شمالاً مهددة الحدود المصرية ؛ مما دفع المصريين للتدخل وصد هجماتها.

نهاية المجموعة أ A-Group

مع بداية الأسرة الأولى المصرية، نُفاجأ بانتهاء A-Group ويختفي النوبيون من النوبة السفلى ولا يعودون الا بعد انقضاء ستة قرون. ويؤكد David O'connor أن هذا لا يمكن أن يتأتى إلا تحت ضغط الحملات العسكرية المصرية وأن ذلك كان لتمهيد المنطقة لتصبح مركزاً تجارياً لمنتجات الجنوب المهمة مثل العاج والبخور وجلود الفهود والنمور وغيرها مما لا يتوافر في مصر، وكان أيضاً للاستفادة من أحجارها الصلبة كالديوريت بالإضافة إلى الذهب.

على أن هذا الرأي من الصعب تأكيده، فيجب أن نضع في أذهاننا أن استخدام أحجار المنطقة كالديوريت لم يبدأ سوى في الأسرة الرابعة كذلك استخرج ذهب النوبة إبتداءً من الدولة الوسطى.

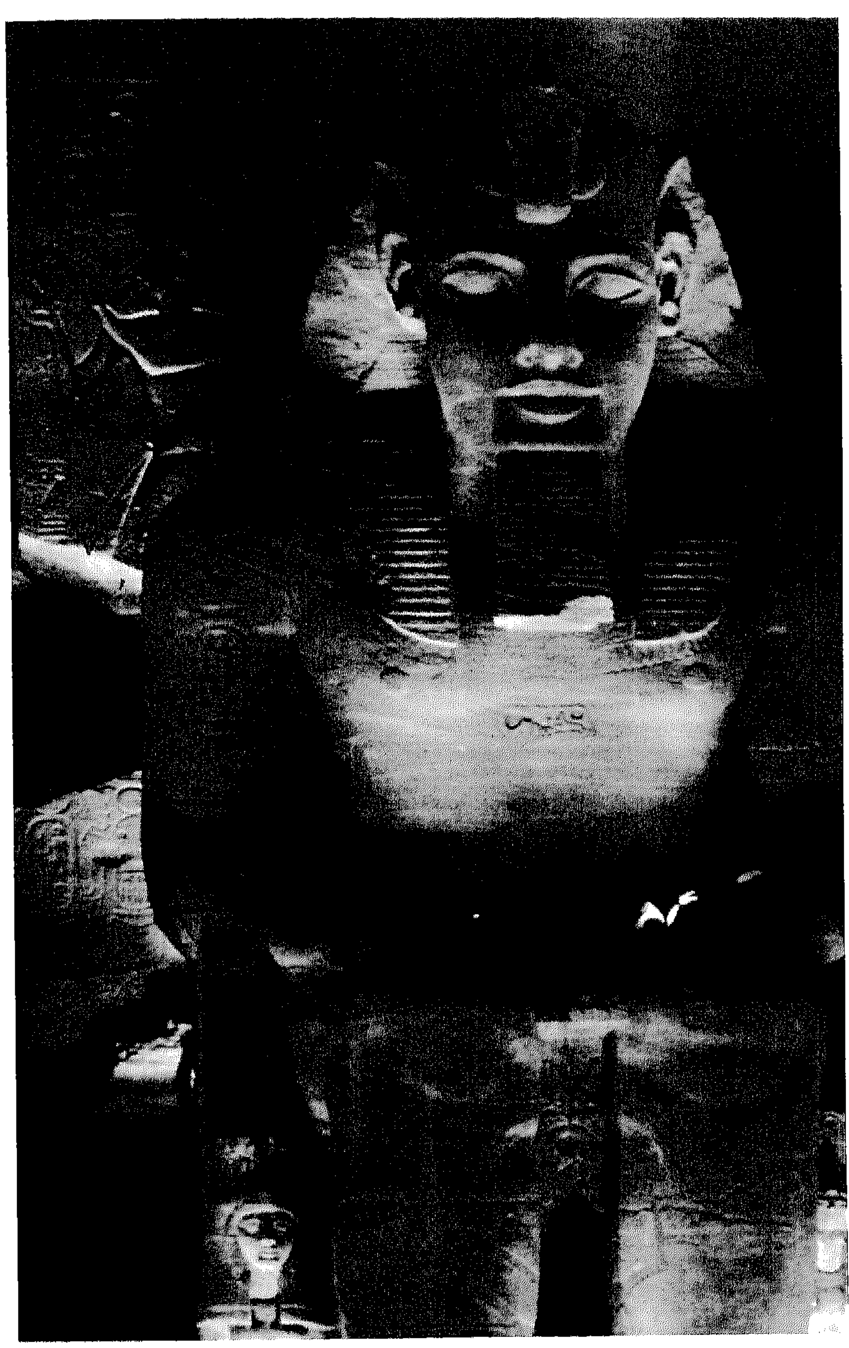
ويذهب O'connor إلى أن المصريين لم يمنعوا النوبيين فقط من إعادة الاستيطان في الأسرة الرابعة، وانما قاموا كذلك بتأسيس بعض المدن الإستراتيجية مثل بوهن. وفي عام ٢٣٤٠ ق.م ، عاد النوبيون لاستيطان النوبة السفلى، ليضيفوا فصلاً جديداً في تاريخهم.

المجموعة ج C-Group

ظلت النوبة العليا مستقرة في عهد الأسرات المصرية من الثالثة إلى الخامسة، وتميز انتاجها الحضاري الذي يطلق عليه "حضارة ما قبل كرما Pre-Kerma Culture" بعدم الغنى والاضمحلال. وكانت A-Group قد انتهت في عام ٢٩٠٠ ق.م، وعاش بعض أفرادها في منطقة الجندل الثاني وتم الانتقال من A-Group إلى C-Group، وانحدر أهلها من شمال النوبة العليا وشاركتها في المكان ما عرف بـ "حضارة كرما Kerma- Group Culture" التى تطورت عن "حضارة ما قبل كرما Pre-Kerma Culture" وتسمى "B-Group"، وقد بدأت "حضارة المجموعة "C-Group Culture" في استيطان النوبة السفلى في حوالى الأسرة الخامسة المصرية عام ٢٤٠٠ ق.م، وظلت تستوطنها حتى عام١٦٥٠ق.م.

النوبة في عصر بداية الأسرات
(A-Group) ٣١٠٠-٢٧٠٠ ق.م

وجدت شواهد هذا العصر في مناطق مختلفة بالنوبة أهمها سيالة وفرس وعكاشة وامتدت حتي أم درمان، ويدل ما عثر عليه من هياكل عظمية في جباناتهم أنهم مثل أقرانهم المصريين لا يختلفون كثيراً عنهم في الجنس.
وقد مارس أهل النوبة إلى جانب حرفة الصيد الزراعة واستئناس الحيوان، وأقاموا مساكنهم في مجتمعات صغيرة علي مقربة من حواف الأراضي الصالحة للزراعة، وعثر علي بعض المخربشات الصخرية في وديان الصحراء الشرقية ومعظمها يصور حيوانات الصيد والرعي مثل الفيلة والزراف وأفراس النهر والبقر، كما شكلوا من الصلصال تماثيل صغيرة بهيئات آدمية وأخرى حيوانية، وفي جبانات ذلك العصر عُثر علي رؤوس مقامع بمقابض ذهبية وأدوات نحاسية وصلايات وأوان حجرية كلها ذات طابع مصري. وفي جبل سليمان جنوبي بوهن، نُقشت لوحة باسم الملك "جر" ثاني ملوك الأسرة الأولي.



رمسيس الثاني الفرعون الخالد - معبد "أبو سمبل".

النوبة في عصر الدولة القديمة

وخلال ذلك العصر، سعت الحكومة المركزية في منف إلى بسط نفوذها على كل أطراف الدولة بما في ذلك النوبة السفلى وكثفت أنشطتها في المحاجر لا سيما محاجر الديوريت غربي توشكي. وخلال عصر الأسرة السادسة، قام الموظف المشهور "وني"- الذي كشف عن موقع مقبرته بأبيدوس حديثاً بعد أن طمرتها الرمال منذ أن اكتشفت أول مرة- بشق خمس قنوات للملاحة النيلية بين صخور الجندل الأول، وجنّد في جيشه عناصر نوبية من إيرثت وواوات ويام وميجاي لمحاربة المغيرين من البدو علي حدود مصر الشرقية. وقام "حرخوف" حاكم أسوان خلال عصر الأسرة السادسة بأربع رحلات استكشافية إلى النوبة وصل فيها إلى يام جنوب الجندل الثاني ومنطقة دنقلة جنوبي الجندل الثالث.

وترددت أسماء الأماكن والقبائل النوبية التي راحت تتردد في النصوص المصرية. وكانت منطقة بوهن شمال الجندل الثاني مركزاً تجارياً تتلاقي فيه منتجات الشمال (مصر) من زيوت ونبيذ وجعة وملابس كتانية وعسل مع منتجات الجنوب من بخور وأبنوس وعاج وجلد الفهد وغيره من سلع أفريقيا الإستوائية. وقرب نهاية عصر الدولة القديمة، بدأت الأوضاع تضطرب في النوبة نتيجة وفود شعوب أجنبية على المنطقة.

النوبة بين الأعوام ٢٢٠٠ -١٥٥٠ق.م

وعاصرت تلك الفترة المجموعة المعروفة بـ"C-Group" وهي مزيج من العناصر النوبية الأصلية والمجموعات التي وفدت إلى النوبة منذ أواخر عصر الدولة القديمة من مناطق جنوب الصحراء الغربية، وساعدها علي الاستيطان بالنوبة السفلى ضعف الحكومة المركزية بمصر في أواخر عصر الدولة القديمة التي شهدت ازدياد شوكة حكام الأقاليم أمام ضعف سلطة الملك ونشأت بينهم الصراعات خلال عصر الانتقال الأول واستعان حكام أقاليم الصعيد بجند مرتزقة من النوبة في جيوشهم الخاصة.

أما في النوبة العليا، فظهر أن الدولة التي قامت في كرما عند الجندل الثالث، استفادت من انسحاب النفوذ المصري من النوبة، فقويت شكوتها حتى هدد وجودها الحدود الجنوبية لمصر، كما أثارت المخاوف من خلق حاجز بين شمال الوادي وجنوبه مما هدد المصالح الاقتصادية بينهما.

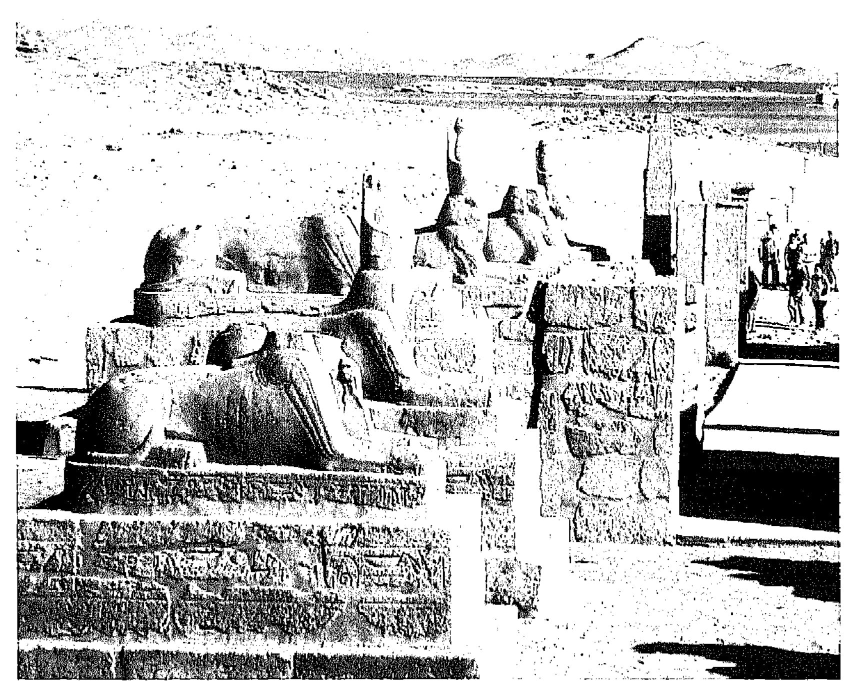
وما إن أعادت مصر وحدتها في عصر الدولة الوسطي (٢٠٤٠ - ١٧٨٦ق.م) حتي سعت إلى ضم النوبة السفلي "واوات" إلى الدولة، ووضع "سنوسرت الثالث" حدودها عند "سمنة" جنوب الجندل الثاني، وأقيمت علي طول النيل سلسلة من القلاع والحصون كنقاط دفاع وكمراكز تجارية.

وانعكس هذا الاستقرار فى مصر على النوبة، فشهدت عصراً مزدهراً اقتصادياً وزاد رخاء أهلها، الأمر الذي انعكس على مقابرهم، وما عثر بها من حلي وأدوات زينة من الذهب والفضة والعاج.
وبداية من عهد الملك "سنوسرت الأول"، تحدثت النصوص المصرية عن النوبة العليا، خاصة "كوش" عند الجندل الثالث، التي لعبت دور الوسيط التجاري بين مصر وحوض البحر المتوسط في الشمال وقلب أفريقيا في الجنوب.
وبحلول عصر الاضطراب الثاني وتعرض مصر لمحنة الهكسوس، تخلصت النوبة السفلى من النفوذ المصري، وأمتد سلطان دولة كوش ليشمل إقليم "واوات" حتى جنوب أسوان وصارت مملكة "كوش" من القوة بحيث خطب ملك الهكسوس فى الأسرة السادسة عشر ودها رغبة في التحالف معها ضد ملوك طيبة الذين هبوا للدفاع عن مصر وطرد العدو الأجنبي وإعادة البلاد إلى سابق وحدتها.

النوبة في عصر الدولة الحديثة

١٥٥٠-١٠٧٠ ق.م

كان من شأن احتلال الهكسوس لمصر وتحالفهم مع حكام كوش فى النوبة، أن تغير مفهوم الحدود الآمنة الذي كان قد استقر في فكر المصريين القدماء قروناً طويلة، فما أن تخلصوا من الحكم الأجنبي حتي سعوا إلى تكوين إستراتيجية دفاعية جديدة تقوم على توسيع حدود مصر وتكوين إمبراطورية مصرية في آسيا وأفريقيا، الأمر الذي انعكس على سياسة مصر في النوبة وأصبح إرسال الجيوش إلي النوبة واجباً إستراتيجياً قبل قيام أية مجهودات عسكرية في آسيا واستطاع ملوك الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر، السيطرة على النوبة السفلى بالكامل وقطاعاً كبيراً من النوبة العليا والقضاء على مملكة كوش وتعيين جهاز إداري يعمل لصالح الحكومة المركزية المصرية يرأسه موظف كبير يدعي "ابن الملك في كوش" و"المشرف علي الأراضي الجنوبية".
وفى ظل هذه الإدارة المدنية المحكمة، تطور الإقليم النوبي بشكل ملحوظ، فاتسعت الرقعة الزراعية وزاد العمران وأقيمت المعابد التي عبدت فيها آلهة مصر مثل "بتاح" و"رع حور آختي" و"حورس" و"حتحور" وغيرها وازدادت كميات الذهب المستخرجة من المناجم ويمكن القول أن سياسة مصر تجاه النوبة في ذلك العصر كانت سياسة تهدف إلى تمصير النوبة حضارياً وثقافياً.
وبنهاية الدولة الحديثة، انهار الجهاز الإداري بالنوبة وتحولت الأوضاع فيها إلى مجرد مجتمعات مفككة لا تلم شملها إدارة واحدة، ولمدة تزيد على ثلاثة قرون



طريق الكباش في معبد السبوعة بالنوبة.

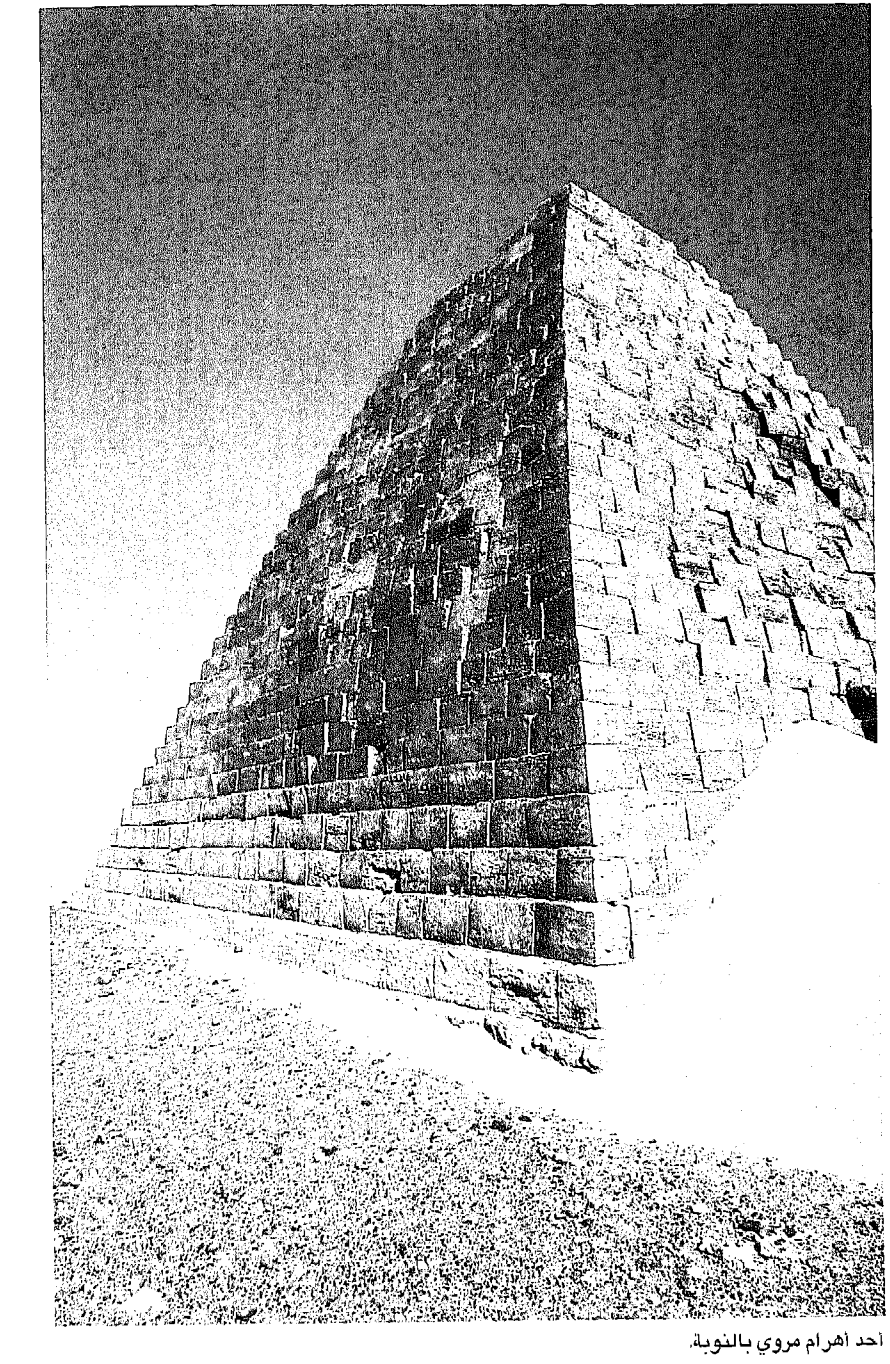
اكتنف الغموض تاريخ النوبة وندر ذكرها في المصادر التاريخية حتى بداية العصر الكوشي.

العصر الكوشي ٧٨٠ - ٥٩٣ ق.م

تأسست في مدينة "نباتا" أسرة حاكمة على رأسها زعيم يدعي "ألارا"، حكم النوبة العليا فى حوالي عام ٧٨٠ ق.م مكوناً ما عرف بـ"الأسرة الكوشية". وبعد حكم استمر حوالي عشرين عاماً خلفه أخوه "كاشتا" الذي انتهج سياسة توسعية فضم النوبة السفلي كلها حتى أسوان وصارت نباتا عاصمة مملكة النوبة الجديدة.

ولعل أشهر ملوك هذه الأسرة هو "بي عنخ" الذي تربع على العرش بين الأعوام ٧٤٧ - ٧١٦ ق.م، وترك في معبد آمون بمدينة "نباتا" نصباً تذكارياً نقش عليه واحداً من أهم النصوص التاريخية لهذه الأسرة، أشار فيه إلى سوء وتردي الأحوال فى مصر، ثم روي وقائع زحف جيشه نحو الشمال والمعارك التي خاضها ضد الأمراء المصريين حتى استطاع ضم مصر إلى حكم الأسرة الكوشية.

وقد أعاد أخوه وخليفته "شاباكو" فتح مصر وأسس بها الأسرة الخامسة والعشرين التي أنهت محنة عصر الانتقال الثالث وانتشلت البلاد من هوة الفوضي التي

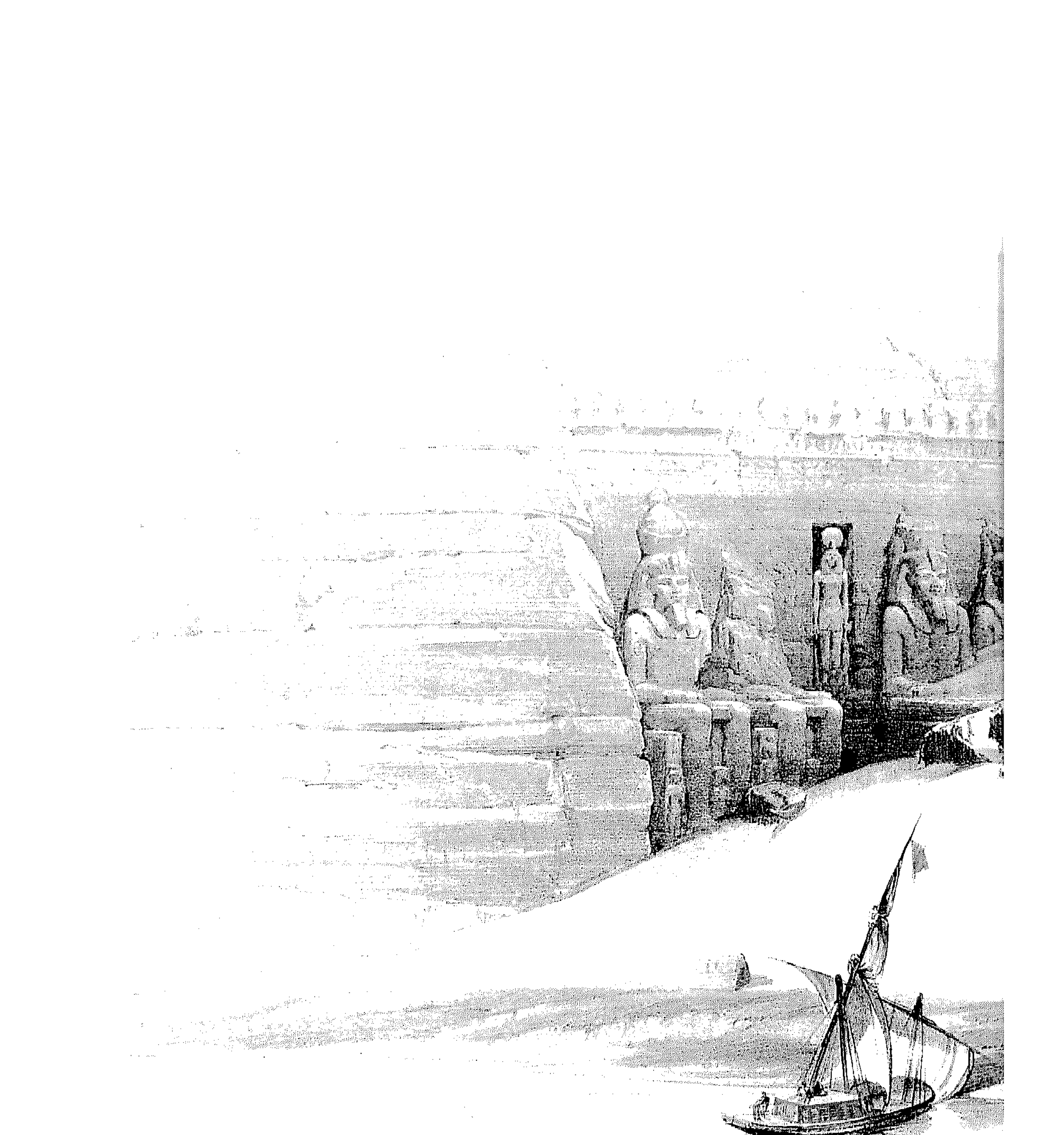


أحد أهرام مروي بالنوبة.

عاشتها قروناً عديدة وقام "شاباكو" بالعديد من الإصلاحات الإدارية والسياسية.
ولم يكن ملوك الأسرة الكوشية يعتبرون أنفسهم غرباء عن مصر وأهلها. فالآلهة التي يعبدونها هي آلهة مصر الكبرى وعاداتهم وتقاليدهم قريبة إلى حد كبير من العادات والتقاليد المصرية . حتى أن الفن في ذلك العصر يعكس مدى التأثير المصري الذي كان مسيطراً على النوبة طوال تاريخها.
ولم تدم حالة الاستقرار التي عاشتها مصر خلال النصف الأول من حكم الأسرة الكوشية ؛ فسرعان ما وقع جنوب غرب آسيا فريسة للآشوريين الذين ظهرت أطماعهم التوسعية غير المحدودة واستطاعوا التغلب على ملوك الأسرة الكوشية ودخول مصر و وصلوا إلى طيبة - مدينة "آمون" المقدسة - مرتين وفي المرة الأخيرة انسحب آخر ملوك الأسرة الكوشية "تانوت آمون" إلى "نباتا" ولم يعد إلى طيبة ثانية ليضع بذلك نهاية حكم الأسرة الخامسة والعشرين في مصر حوالي عام ٦٦٤ ق.م.
وعلى الرغم من ذلك استمرت الأسرة الكوشية تحكم النوبة من عاصمتها "نباتا" حتى أرسل الملك "بسماتيك الثاني" أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين المصرية جيشاً إلى النوبة اصطدم بالكوشيين واستعاد لمصر مكانتها السابقة في النوبة حتى الجندل الثالث . ويقال أن الجيش المصري دخل مدينة "نباتا" نفسها وأنهى حكم الأسرة الكوشية. ويرجع David O' connor هذا الانهزام الكوشي أمام حضارة مصر إلى أن : "دولة كوش الصغيرة لم تستطع حكم مصر القوية".
وعندما أصبحت مصر مملكة بطلمية (٣٢٣ - ٣٠ ق.م) ، كانت العلاقات ودية للغاية بين مصر البطلمية والنوبة ككل ، وأقام الملوك البطالمة عدداً من الموانئ التجارية على ساحل البحر الأحمر مثل "برنيس" لخدمة التجارة المشتركة لمصر ومملكة " مروي"، إضافة إلى إكمال بعض المعابد وبناء معابد جديدة في النوبة. وازداد الرخاء في مروي (٥٩٣ ق.م - ٣٥٠ م) ولم يختف التأثير المصري فيها سواء في العقائد الدينية أو طقوس الدفن أو حتي نقوش وزخارف المعابد.
وبعد هزيمة "كليوباترا السابعة" عام ٣٠ ق.م في موقعة "أكتيوم البحرية" على يد الإمبراطور الروماني "أوكتافيوس أغسطس" (٣٠ ق.م - ١٤ م). أصبحت مصر ولاية رومانية. وكانت العلاقة بين الرومان حكام مصر والمرويين حكام النوبة ذات شد وجذب . وهادن الرومان أهلها بعد أن فشلوا في هزيمتها. وبلغت مملكة مروي أوج مجدها في القرن الأول الميلادي. ثم بدأ الانحدار يتسلل إليها. ثم دخلت النوبة الوثنية إلى المسيحية على أيدي التجار أو بعض المسيحيين المصريين الذين وفدوا إلى النوبة هرباً من الاضطهاد الروماني الوثني أو الاضطهاد البيزنطي المذهبي. ثم عرفت النوبة طريقها إلى الإسلام بعد أن دخل مصر على يد القائد العربي الشهير عمرو بن العاص عام ٢١هـ - ٦٤١م، عن طريق أخلاقيات ومعاملات التجار المسلمين أيضاً.



معبدا "أبو سمبل" كما صورهما أحد فناني القرن التاسع عشر.



السد العالي

استطاعت الرمال التي غطت معبدي "أبو سمبل" أن تحمي تراثاً فريداً لآلاف السنين وكانت أيضاً السبب في عزلة هذا المكان وخلوه من العمران. كما صانت هذه الرمال بعض أبنية النوبة الأثرية وحالت دون تحويلها إلى كنائس بعد دخول المسيحية أرض مصر إلى أن تم تشييد خزان أسوان ١٩٠٢م، ثم زيد في ارتفاعه بعد ذلك مرتين في عامي ١٩١٢م و١٩٣٦م. فتعرضت معابد النوبة كلها إلى طغيان مياه التخزين ؛ مما اضطر مصلحة الآثار حينذاك إلى العمل على تقويتها وتدعيمها واتخاذ كافة الوسائل لصيانتها والمحافظة عليها.

وبعد قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢م، فكرت مصر في تنفيذ مشروع ضخم يعتبر من أهم وأكبر مشروعات القرن العشرين، وهو بناء سد صخري جنوب أسوان مباشرة، يبلغ طوله حوالي ٣٦٠٠ متر وعرضه ٤٠ متراً، وارتفاعه ١٨٠ متراً عند قاعدته التي تقع على مستوي ١٠٤ أمتار فوق سطح البحر فيمكنه عند إتمام تشييده أن يخزن المياه جنوبه حتي ارتفاع ١٨٢ متراً مكوناً بحيرة تعد من أكبر البحيرات الصناعية في العالم ؛ إذ يبلغ طولها ٥٠٠ كم في مصر وشمال السودان ويصل عرض بعض أجزائها إلى حوالي ٢٥ كم.

وقد اعتبر السد العالي بمثابة رسول الكرامة والعزة لمصر والسبيل الأمثل لتطوير اقتصاد البلاد وتحقيق نوع من الرخاء للمواطنين ؛ إذ سيحول دون ضياع جانب كبير من مياه النيل في البحر المتوسط، وستخزن تلك المياه لتستخدم في توسيع رقعة الأرض الزراعية وفي زراعة الغلات والنباتات التي تحتاج إلى مياه وفيرة وفي توليد طاقة كهربائية تستخدم في الصناعة وسوف ينقذ البلاد من أخطار الفيضانات العالية والمنخفضة علي السواء.

وقد حققت مصر حلمها حين بدأت في تشييد هذا السد الذي عرف بعد ذلك باسم السد العالي، وقد بدأ تشييده عام ١٩٦٠م، وانتهي عام ١٩٦٤م مع تقدير إمكانية وصول التخزين إلى أقصى مداه عام ١٩٧١م.

وقد واجهت الحكومة المصرية بعد ذلك مشكلة كبرى، تمثلت في حتمية غرق تراث النوبة الأثري من معابد وآثار وتماثيل ومقاصير تحت مياه التخزين واختفائها من الوجود إلى أبد الآبدين ؛ ومن ثم فقد صممت مصر على إنقاذ التراث الذي أخرجه إلى الوجود أجداد عاشوا علي أرضها وشربوا من نيلها وارتبطوا ببلاد النوبة برباط أبدي وشيدوا صروحاً شامخة في "أبو سمبل" وغيرها مهما كلفها ذلك من جهد ومال.

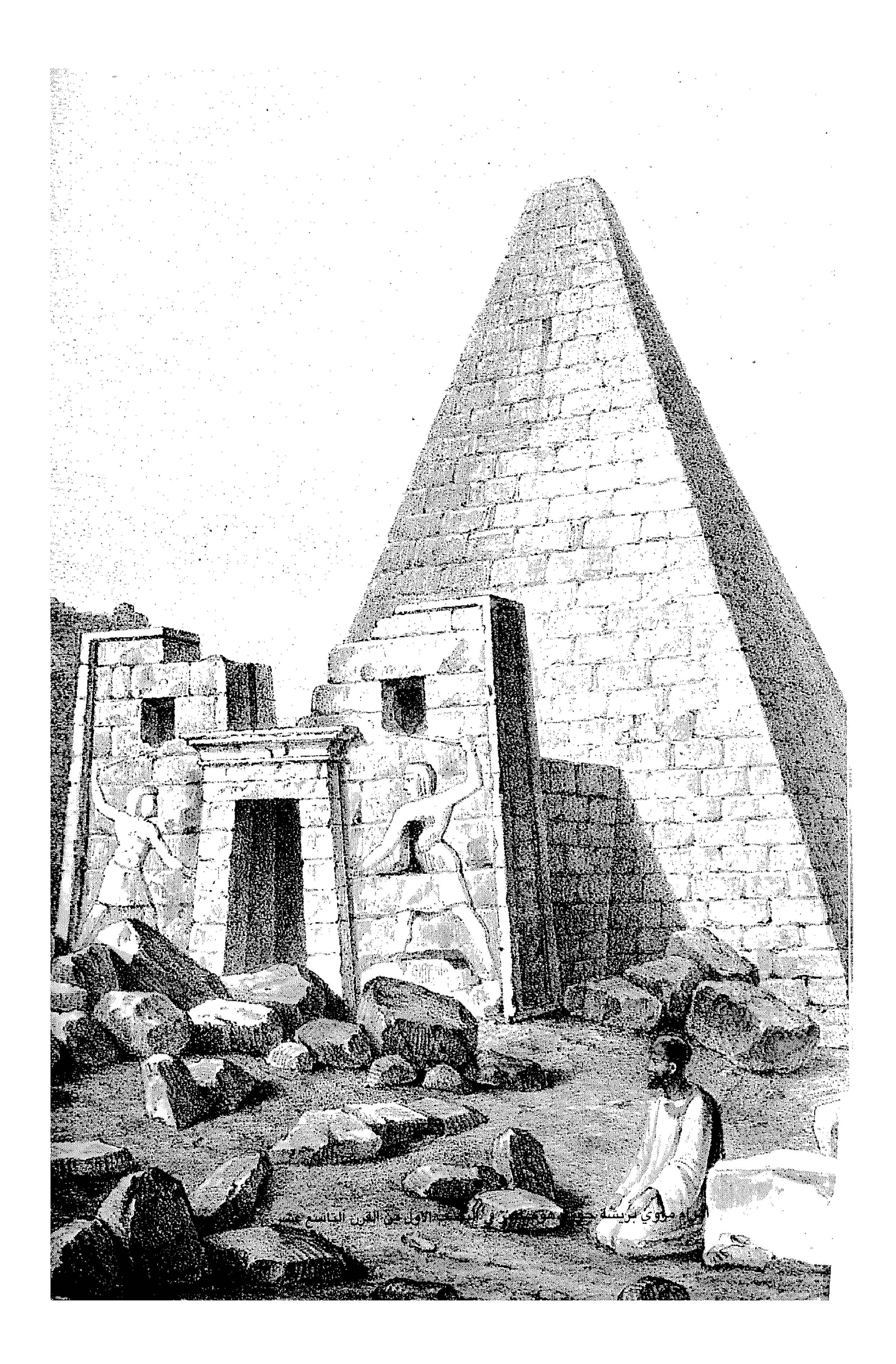
وقد استطاع السد العالي أن يحقق حلم شعب مصر وأثبتت الأيام أنه أنقذ مصر من

ويلات نقص المياه كما كان يحدث في العصر الفرعوني. وأنار كل قري مصر وبالتالي فقد قفزت هذه القري منذ عام ١٩٦٤م، قفزة حضارية كبيرة بعد أن كانت غائبة في ظلال النسيان.

وقد حدث بعد ذلك، أن ظهرت شائعة غريبة قالت أن بناء السد العالي قد تسبّب في تدهور الآثار المصرية ووصول المياه إلى المعابد وجدرانها المنتشرة بجوار النيل واستطاع فريق من العلماء المتخصصين من معهد "سميسونيان" بواشنطن ومنهم العالم المصري البارز الدكتور فاروق الباز أن يثبت أن السد العالي بريئ من كل هذا، وأن سبب تأثر الآثار يرجع إلى تسرب المياه من مواسير الصرف، بالإضافة إلى تسرب المياه من القري التي لا يوجد بها صرف صحي، وهذه المياه هي الملوثة بالأملاح التي تؤثر وتصيب الآثار المصرية بالضرر، وقد ظهر ذلك على الكثير من المعابد مثل إدفو وإسنا والأقصر. ونستطيع القول أن السد العالي يعتبر من أهم إنجازات مصر ومن أهم المعالم الحضارية المهمة في مصر الحديثة.



معبد السبوعة غارقاً قبل نقله إلى موقعه الجديد.



أهرام مروي بريشة جورج هوسكنز في النصف الأول من القرن التاسع عشر



حملة اليونسكو الدولية لإنقاذ آثار النوبة

وضع مشروع السد العالي حكومتي مصر والسودان أمام مسؤولية كبيرة تتعلق بغرق جزء كبير من بلاد النوبة تحت مياه السد العالي بما تحمله من مواقع تاريخية ومعابد ومقاصير وقلاع وبقايا مدن متناثرة ولوحات ونقوش أثرية وما تحتفظ به الأرض في باطنها من مخلفات الماضي التي لم يكشف عنها بعد ؛ ونظراً لتشعب الإنقاذ وما يتطلبه من قدرات علمية وفنية ومن نفقات كبيرة تفوق قدرات البلدين، فقد أرسلت حكومتيهما طلبين إلى منظمة اليونسكو تبديان فيهما رغبتهما في الحصول على مساعدتها الفعالة لإنقاذ التراث النوبي ؛ نظراً لضخامة هذا العمل وبوصف تلك الآثار تراثاً إنسانياً فريداً يهتم بإنقاذه العالم أجمع ويجب على جميع الشعوب صيانته والمحافظة عليه.

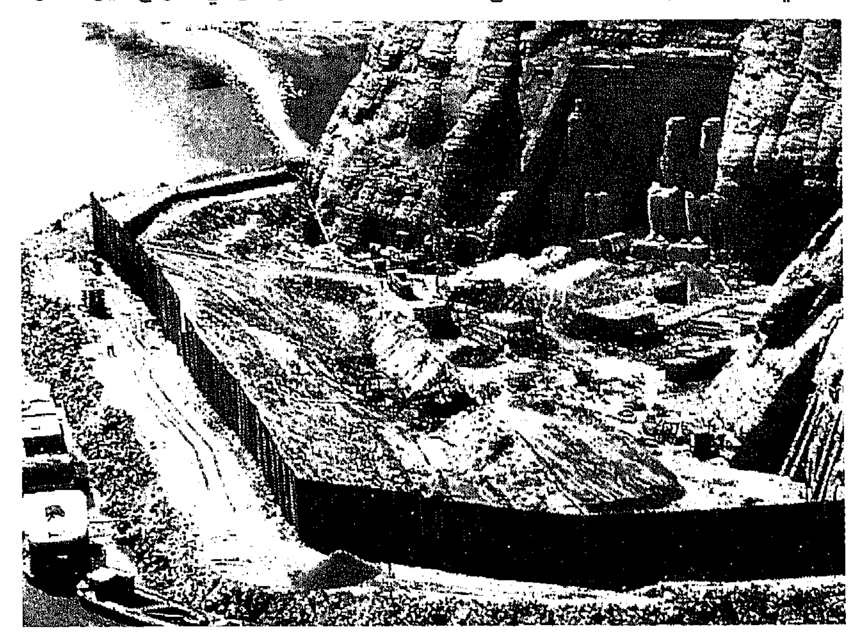
وعلى الرغم من أن طلبي مصر والسودان كانا بمثابة المرة الأولى التي تقدم فيها مثل هذه الطلبات إلى منظمة اليونسكو منذ نشأتها ١٩٥٤م، فإن مجلسها التنفيذي قد رحب بالطلبين ترحيباً كبيراً عند تقديمهما خلال دورته الرابعة والخمسين في شهر يوليو ١٩٥٩م، فقد شعر مجلس اليونسكو بأنه مسؤول إلى حد كبير عن تأمين وإنقاذ التراث في أي مكان خاصة إذا كان تراثاً عريقاً وفريداً، يمثل إبداعاً معمارياً وفنياً أمكن للإنسان أن ينفذه في تلك الأرض المنعزلة التي يصعب الحياة فيها، كما أن منظمة اليونسكو في واقع الأمر هي المنظمة الدولية الوحيدة التي يمكنها توفير المساعدة الضخمة وحشد الإخصائيين والخبراء من مختلف أنحاء العالم، بالإضافة إلى أن مثل هذا العمل كان بمثابة مقياس لصلابة التكاتف والتعاون العالمي وتجربة ناجحة تجعل من وجود هيئة الأمم المتحدة حقيقةً واقعةً .

ومن ثم فقد أقيم في مارس ١٩٦٠م، حفل تاريخي كبير في مقر اليونسكو بباريس، ضم نخبة بارزة من الشخصيات المهمة التي تعمل في مجالات العمل الدولي ووجّه مدير اليونسكو Vittorino Veronese الذي كان يرأس اليونسكو من عام ١٩٥٨م حتى عام ١٩٦١م - وقد قام بعد ذلك المدير التالي لليونسكو الفرنسي Ren è Maheu باستكمال تنفيذ المشروع منذ عام ١٩٦١م حتى عام ١٩٧٤ - نداءً عالمياً إلى الحكومات والمنشآت والهيئات وكل من يهتم بالتراث وبالإخاء الدولي لتقديم المساهمات المالية والفنية والعلمية لإنقاذ آثار النوبة التي سوف تغمرها مياه السد العالي فيتحول النيل واهب الحياة لمصر إلى عنصر مدمر لحضارتها القديمة الفريدة التي هي جزء من التراث الإنساني غير قابل للتجزئة. وبهذا النداء وُلدت الحملة الدولية لليونسكو لإنقاذ آثار النوبة التي استمرت أكثر من عشرين عاماً.

وسرعان ما تكونت اللجان الاستشارية والتنفيذية والعلمية وتعددت اجتماعات الخبراء والمستشارين والفنيين، وتألفت في عشرين دولة لجان قومية عملت في حماس

وإخلاص لتحقيق أهداف الحملة الدولية. ثم ما لبثت التبرعات والمساعدات بمختلف ألوانها أن توالت سواءً أكانت من الحكومات وفي مقدمتها حكومات الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا أو من الهيئات غير الحكومية أو من الأفراد مثل مدام "ولاس" صاحبة مجلة "المختار" التي تبرعت بمفردها بمليون دولار معاونةً منها في إنقاذ معبدي "أبو سمبل"، بل إن بعض الأطفال من دول أجنبية قد بعثوا بما ادخروه من مصروفهم اليومي كمساهمة رمزية منهم في عملية الإنقاذ. وأفاضت الصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والمرئية في الحديث عن هذه الآثار، وألقيت المحاضرات وأعدت الأفلام السينمائية وألف الكثير من الكتيبات وتعددت النشرات خصوصاً ما يتعلق بـ "أبو سمبل" الذي أصبحت صور معبديه في مخيلة الكثيرين من مختلف الجنسيات الذين فاضت قلوبهم بحب ذلك التراث الذي خلفه أهل النيل لنا وللعالم أجمع منذ آلاف السنين.

وقد نجحت الحملة الدولية في قيام العديد من البعثات الأجنبية والمصرية بأعمال المسح الأثري والتسجيل العلمي لكل آثار النوبة تسجيلاً علمياً شاملاً، وأيضاً في الكشف عما كان في باطن الأرض من آثار ومخلفات، وفي إنقاذ معظم آثارها بدءاً بمعبدي "أبو سمبل" جنوباً حتى معابد فيلة شمالاً. ويعد هذا النجاح الكبير أروع مثل عرفه التاريخ للتعاون الدولي الواسع النطاق في ميدان التراث الأثري، وفي المجال الثقافي بوجه عام كما كان مشروع الحملة هو قطب الرحى في تاريخ اليونسكو؛



معبدا "أبو سمبل" في موقعهما الأصلي.



الاستعداد لفك تماثيل رمسيس.

فعن طريقه ارتبطت منظمة اليونسكو بأكبر عمل ثقافي مشترك مهد للقيام بثلاثين حملة أخرى لإنقاذ العديد من روائع التراث الأثري والتاريخي كإنقاذ البندقية في إيطاليا والأكروبول في اليونان ومانجدارو في باكستان وبربادور في أندونسيا ومدينة فاس الشهيرة بالمغرب.

وقد تحقق هذا النجاح الذي اشتركت فيه عناصر مختلفة في كافة النواحي، في الجنس والدين واللغة والنظام السياسي والثروة والثقافة والتخصص بل وفي السن سواء من الشرق أو الغرب لعدة عوامل منها :

١- النجاح في تحديد أهداف الحملة وسبل تحقيقها منذ البداية.

٢- التعاون المكثف بين منظمة اليونسكو من ناحية في الهيئات المعنية في مصر والسودان من ناحية أخرى.

٣- حماس كل من ساهم في عملية الإنقاذ، سواء كان ذلك بفكره أو علمه أو جهده أو ماله، خاصة ذلك المجهود الجبار الذي قام به العديد من المصريين الذين ساهموا بالجهد والعرق في سبيل نجاح هذا المشروع ومنهم الدكتور ثروت عكاشة الذي كان وزيراً لثقافة مصر في ذلك الوقت والراحل عبدالمنعم الصاوي الذي تولي منصب الإشراف علي حملة الإنقاذ والراحل الدكتور جمال مختار الذي ساهم بعلمه وثقافته وسفره ودبلوماسيته في التعاون مع كل الدول في سبيل إتمام إنقاذ معابد النوبة.

٤- حماس ومهارة الأثريين والمهندسين والفنيين والإخصائيين والعمال الذين عملوا ليل نهار متحملين الحرارة والقيظ صيفاً وبرد الصحاري القارس شتاءً وظروف العمل الشديدة الصعوبة.

٥- وأخيراً براعة التكنولوجيا الحديثة التي ساعدت في بعث التكنولوجيا القديمة التي تمثلت بوجه خاص في معبدي "أبو سمبل" الحاليين.

إنقاذ معابد "أبو سمبل"

وعلي الرغم من أن إنقاذ معبدي "أبو سمبل"، كان عملية صعبة ومعقدة وفي حاجة إلى دراسات شاملة وبحث مستفيض وتحليل عميق ، نظراً لما يترتب علي أي مشروع إنقاذ من مسؤوليات مادية وهندسية وفنية وأثرية وجمالية. كان من الضروري إتخاذ قرار حتى ولو كان محفوفاً بالمخاطر أو متسرعاً ؛ إذ بدأ منذ شرعت الحكومة المصرية في تنفيذ عملية بناء السد العالي صراع كبير بين خطر ارتفاع مياه التخزين المتزايد من ناحية وبين سرعة إتخاذ قرار حاسم ببدء مشروع الإنقاذ والحصول علي التمويل اللازم له من ناحية أخري. وكان موضوع الدول، فقدم إلى منظمة اليونسكو العديد من المشروعات لإنقاذ "أبو سمبل" ويمكن إدراك مدى

الإهتمام العالمي في هذا الشأن لما قدمه بعض الأطفال من مشروعات إنقاذ ساذجة وبريئة. ومن بين ما أرسل من خطابات مساهمة، أرسلت طفلة فرنسية في الحادية عشر من عمرها ما إدخرته من مصروفها الشخصي، ذاكرة أنها لا تعرف مدى روعة وأهمية "أبو سمبل" لكنها متأكدة من عظمة مصر الفرعونية ومن روعة تراثها. لذا فهي تساهم بما تملك في سبيل إنقاذ ذلك التراث. وأرسلت سيدة من "بوردو" قائلة أنها سيدة محدودة الموارد بعد أن فقدت زوجها في الحرب العالمية الثانية؛ لذا فهي ترسل مبلغاً بسيطاً مساهمةً منها في إنقاذ معبدي "أبو سمبل" رغم تأكدها من أنها لن ترى المعبدين بعد الإنقاذ. لكن أمنيتها أن يشاهدهما أحفادها بعد نجاح عملية الإنقاذ وبعث المعبدين.



نشر وجه أحد التماثيل.

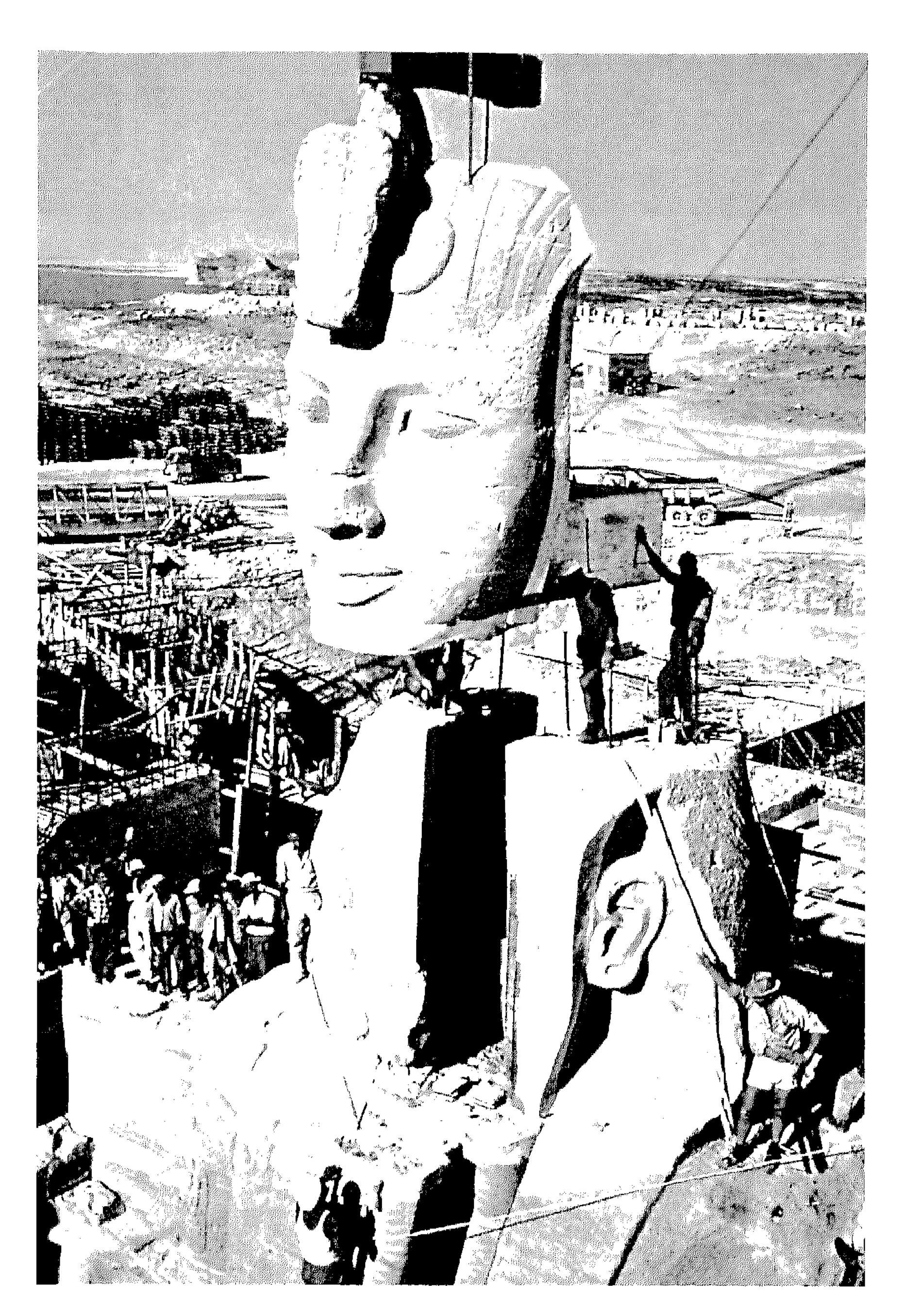
ولقد كان بعض هذه المشروعات التي قدمت إلى اليونسكو مجرد تخيل أو تصور تعوزه الجدية. ومن ثم فقد استبعد المشروع الذي اقترح ترك المعبدين يغرقان بعد إحاطتهما بأسطوانات خرسانية مسلحة تلفهما تماماً بشكل يشبه المتاحف البحرية التي تقام تحت الماء، أما زيارتهما فتتم بواسطة مصاعد كهربائية تنزل بالزائرين إلى المعبدين.

ومثل مشروع فرنسي آخر جاء متأخراً بعض الوقت يهدف إلى رفع المعبدين بعد تعليقهما وقطعهما من كتلة الصخر على جندلين يرتفعان مع مياه البحيرة تدريجياً حتى يكتمل ملؤهما ثم إرسائهما بعد ذلك على الرباطين بعد إزالة التغليف.

وقدمت في نفس الوقت ثلاثة مشروعات مدروسة دراسة جيدة وقد مرفقة بها التفصيلات والرسومات الهندسية والمعمارية اللازمة، وتشكلت لجان دولية ومحلية مكونة من مستشارين وخبراء عالميين ومتخصصين في الهندسة المدنية والعمارة والآثار والفنون والتخطيط والشؤون المالية والاقتصادية وغيرهم من الإخصائيين، وبدأت عملها منذ عام ١٩٥٢م. وانتهت بإقرار أحد هذه المشروعات الثلاثة عام ١٩٦٣م.



وجه رمسيس الثاني في طريقه إلى الموقع الجديد.



وجه رمسيس الثاني يلتحم بتمثاله.

المشروع الأول

قدمته الشركة الفرنسية Coyne et Bellie ويهدف إلى حماية المعبدين بإقامة سد نصف دائري ضخم يصل ارتفاعه إلى قرابة ٣٠٠ متر عن المعبدين، وهكذا سيسمح ارتفاعه وبعده عن المعبدين بوصول أشعة الشمس بعد شروقها وتسربها إلى المعبد الكبير كما كان يحدث على مدى آلاف السنين، كما ميز هذا المشروع أنه عملي فقد أقيمت سدود أهم من هذا السد في مصر وغيرها من بلاد العالم. حقيقةً إنه لم يسبق أن أقيمت سدود لحماية التراث الأثري . لكن أمر إقامة ذلك السد أمر يسهل تحقيقه وإن اختلف الهدف من إقامته وأخيراً فإن هذا المشروع يبقي المعبدين في مكانهما دون المساس بهما، فيحتفظ لهما بروعتهما وجمالهما ويؤمن سلامتهما ويبقي علي بيئهتما الطبيعية الأصلية.

لكن اعتراضات كثيرة، أثيرت حول هذا المشروع ؛ منها أن المعبدين سيصبحان في منخفض تحيط به المياه مما سيؤدي إلى تسربها، خاصة أن الصخر الذي نقر فيه المعبدان والذي سيستخدم في بناء السد صخر رملي صاف شديد الرشح ،وسيلزم ذلك إنشاء محطة ضخمة أو اثنتين لضخ مياه الرشح تعملان بالتناوب وإذا تعطل عمل إحداهما أو كليهما لسبب قهري أو لأمر خارج عن الإرادة. فسيمتلئ المعبدان بالماء وربما يغرقان إذا طال أمر التعطيل، وإذا ما أضيف إلى ذلك أن المياه وراء السد ستكون في مستوي أعلى من المعبدين بـ ٦٠ متراً تقريباً ؛ ونظراً لضخامة كميتها، فستزداد الرطوبة النسبية بدرجة تؤثر بلا شك على الرسوم والنقوش. كذلك فإن مصر ستتكلف مبالغ كبيرة سنوياً في سبيل حماية السد وترميم الرسوم والنقوش بين حين وآخر ثم في تشغيل محطتي الضخ، وأخيراً فقد اتضح أن تكاليف المشروع باهظة جداً قدرت في ذلك الوقت بـ ٨٠ مليون دولار في حين أن التبرعات الدولية للحملة كانت في وقت دراسة المشروع محدودة للغاية ، ومن ثم استبعدت مصر ومنظمة اليونسكو هذا المشروع وشرعت في دراسة مشروع قدم في نفس الوقت تقريباً.

المشروع الثاني

قدمت هذا المشروع الحكومة الإيطالية مصحوباً بثلاثة مشروعات إيطالية أخرى سنة ١٩٦٠م. ويتلخص ذلك المشروع في إنزال الكتل الضخمة من الصخر التي تعلو المعبدين ولتخفيف ثقل المعبدين ثم فصل المعبدين عن كتلة الصخر ثم البدء في رفعها بعد تغليفها بآلات الروافع الإلكترونية التي تستعمل بحذر شديد إلى حوالي ٦٥ متراً أي إلى مدى يفوق أعلى مستوي لمياه التخزين تبدأ بعد ذلك عملية إرسائها

في مكانها الجديد وبنفس إتجاهها السليم ثم التغليف ثم إعادة تكوين الصخور التي كانت تعلو المعبدين وإحاطتها بالعناصر الطبيعية التي كانت تحيط بها وللإبقاء علي منظرها الأصلي لإحاطتها بالمناظر البيئية التي كانت تغلفها في الأصل. ورغم صدور قرار في ٢٠ يوليو ١٩٦١م من الحكومة المصرية بقبول هذا المشروع بدلاً من مشروع السد السابق، فإن التقارير العلمية والفنية بدت متخوفة من هذا المشروع الجديد المحاط بأخطار تهدد سلامة المعبدين ؛ لأن المعبد الكبير بعد تغليفه سيصل وزنه إلى ٣٥٠ ألف طن ترفع إلى ٦٥ متراً، بينما العملية الأخرى المشابهة كانت تتناول جزءاً من كنيسة في إيطاليا لا يزيد وزنه عن عشرة آلاف أطنان ولم يزد مدى الرفع إلى أعلى من المتر ، وليس هناك من يتحمل مسؤولية ضمان سلامة عملية الرفع كما قدرت تكاليف العملية بـ ٧٠ مليون دولار وهي نفس المشكلة المادية التي أعاقت مشروع السد السابق ذكره من حيث ضخامة التكاليف إذا ما قورنت بمقدار التبرعات وكذا لعدم توفر العملة الصعبة التي يحتاجها المشروع ومن ثم فقد انتهت الدراسات بعد مناقشات وتقديرات متأنية إلى قرار بالعدول عن ذلك المشروع.

المشروع الثالث

هو المشروع الذي قبله المتخصصون واللجان وهو مشروع عملي محدود التكاليف نسبياً عن المشاريع السابقة.

تنفيذ مشروع الإنقاذ

استقر أخيراً رأي الحكومة المصرية واليونسكو بلجانه وخبراته علي الأخذ بالمشروع الذي يدعو إلى فك المعبدين وتقطيع أحجارهما ثم إعادة تشييدهما على الربوتين الأصليتين في قبوتين صناعيتين بالغتي الضخامة وفي نفس إتجاهاتهما الأصلية، لكن على ارتفاع يتجاوز الستين متراً. وقد تمت الموافقة على هذا المشروع لأنه واقعي وعملي وأكثر أماناً من المشروعين السابقين وأقل تكاليفاً كما أنه سوف ينقذ الأثر ويبقي على البيئة المحيطة به، وقد تمت هذه الموافقة رغم اعتراض بعض الأثريين الذين عدوا فك المعبدين وتقطيع أعمدتهما وتماثيلهما وبعض جدرانهما بمثابة إعتداء وحشي على الأثر ؛ لذا فقد أطلقوا على المشروع : "عملية جزارة أبو سمبل"، ولحسن الحظ تم المشروع دون أي ضرر لحق بأجزائه أو نقوشه وقد تم إنجاز هذا المشروع الذي يعد أعظم ما قامت به حملة إنقاذ آثار النوبة وفقاً للخطوات الآتية :



الإعداد لنقل أحد رؤوس تماثيل رمسيس الثاني العملاقة إلى الموقع الجديد.

أولاً :- إقامة سد مؤقت أمام المعبدين لحمايتهما من مياه التخزين المتزايدة يوماً بعد يوم وقد بلغ امتداده ٧٣٠ متراً وارتفاعه ٢٧ متراً وضم جسد السد ٣٨٠ ألف متر مكعب من الحجر الرملي بعد تغطية واجهة المعبد الكبير بالرمال لحماية التماثيل العملاقة ووقايتها من الضغوط عندما يبدأ تقطيع الجدران خلفها وإقامة سقالات داخل المعبدين لصلب سقوفهما وأعمدتهما حماية لها.

ثانياً :- إزالة ما فوق المعبدين من صخور الربوتين والتي بلغ حجمها ١٥٠ ألف متر مكعب.

ثالثاً :- قطع أحجار وأعمدة وتماثيل المعبدين إلى قطع ضخمة تراوحت أوزانها ما بين ٣ و٢٠ طناً وقد يصل عرضها إلى خمسة أمتار وارتفاعها إلى ثلاثة أمتار وقد بلغ عدد كتل المعبد الكبير إلى ٨٠٧ كتل والمعبد الصغير ٢٣٥ كتلة.



رأس رمسيس مستقر على الشاحنة في طريقه إلى موقع المعبد الجديد.

رابعاً :- رفع كتل المعبدين إلى سطح مجاور للمكان الجديد بعض تسطيحه وإعداده.

خامساً :- إعادة تشييد المعبدين في المكان الجديد بنفس إتجاهاته القديمة. ولقد كانت لحظة رائعة عندما وُضعت تيجان الملك "رمسيس الثاني" على تماثيل الواجهة العملاقة في مارس سنة ١٩٦٧م ؛ إنها لحظة لا تُنسى لكل من عمل في حملة الإنقاذ عندما ترى تكنولوجيا القرن العشرين تنقذ أعمال تكنولوجيا فريدة سبقتها بحوالي ٣٣٠٠ سنة.

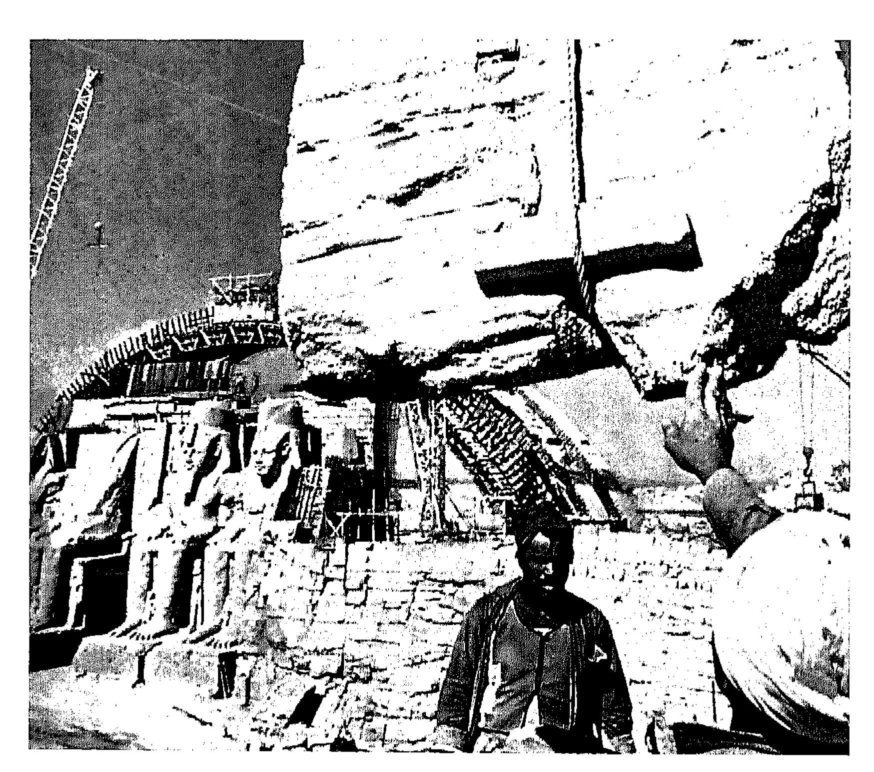
سادساً :- بناء قبتين خرسانيتين لإحتواء المعبدين اللذين أعيد تشييدهما لتحمل كتل الأحجار التي كانت تغطيهما. وتعد قبة المعبد الكبير أكبر قبات العالم الصناعية، إذ يمتد قطرها مسافة ٦٠ متراً بينما يبلغ ارتفاعها ٢٢ متراً.

سابعاً :- تشكيل تلال صناعية فوق المعبدين لإعطائهما منظرهما القديم بلغ

حجمها ٣٣٠ ألف متر مكعب من الحجر الرملي. وقد قام بهذا العمل الضخم منعدم النظير تحالف (Consortium) لمشروع موحد (Joint Venture) من المشروعات العالية التالية :-

١- شركة فرنسية Grand Travaux De Marseille
٢- شركة ألمانية Hochj è f
٣- شركة إيطالية Impresilr
٤- شركتين سويديتين Sentabx Skanska
٥- شركة مصرية تحت إشراف المجموعة السويدية Sentas

وقبل بدء المشروع، تم بناء مدينة حديثة اتسعت لأكثر من ثلاثة آلاف من العاملين من الأجانب والمصريين الذين قاموا بالعمل هناك. واصطحب بعضهم عائلته، وتم تزويد المدينة بكل الإمكانيات اللازمة لإقامة مريحة ولسد مطالب



معبد رمسيس في موقعه الجديد وتظهر القبة الحديدية التي سوف تحمل صخور الجبل فوق المعبد.

الحياة اليومية بكافة احتياجاتها، وهو أمر بالغ الإعجاز، نظراً لبعد المكان عن العمران وصعوبة الاتصال والنقل إليه ومناخه القاسي الذي يبلغ في الصيف في بعض الأحيان ٥٠ درجة مئوية في الظل.

وقد بلغت تكاليف المشروع ٤٢ مليون دولار، كما انتهى العمل فيه في أقل من خمس سنوات ؛ إذ بدأ في نوفمبر سنة ١٩٦٣م وانتهى في سبتمبر ١٩٦٨م قبل الموعد المحدد بـ ٢٠ شهراً ودون أن يفقد حجر واحد أو يحدث أدنى تغيير أو إختلاف عن الأصل.

وقد قال لي المرحوم الدكتور جمال مختار إن أحد الصحفيين الأجانب الذين حضروا يوم الافتتاح الخالد في ٢٢ سبتمبر ١٩٦٨م، كتب يقول : "إن كل شيء يبدو تماماً كما كان عليه من قبل مما يشكك الإنسان في أمر نقل المعبدين بالفعل من مكانهما القديم"! ولقد تجمع في ذلك اليوم عدد ضخم من الأثريين وعلماء المصريات والمؤرخين الذين احتفلوا بتحقيق حلم الملك "رمسيس الثاني" القديم الخاص بمعبدي الأبدية والخلود، كما احتفل الحاضرون متنوعو التخصص ومختلفو الاتجاهات بنجاح اليونسكو في إنقاذ هذين المعبدين الفريدين عديمي النظير.

وقد نقلت وكالات الأنباء هذا الحدث إلى كل محطات التليفزيون والإذاعات والصحف العالمية من أمام المعبد، وكان بينهم المرحوم الدكتور جمال مختار يلقى بالأحاديث الصحفية. وكان يعتبر المثل الأثري المصري الذي كان يفخر أن مصر مع اليونسكو والعالم كله، حققت معجزة علمية رائعة بل وسيمفونية عزفها الجميع، ونالت إعجاب العالم كله.

الاحتفال بنجاح عملية الإنقاذ وافتتاح المعبد في موقعه الجديد.



ما بعد الإنقاذ

ترتبت علي تحقيق المعجزة التي ساهم العالم في إتمامها وبعث المعبدين من جديد، مسؤوليات متعددة حاولت مصر مواجهتها منذ البداية.

وعلي سبيل المثال، اتضح ضرورة العمل الدائب المستمر لصيانة المعبدين وحمايتهما من العوامل الطبيعية والبيئية من ناحية والعوامل البشرية من ناحية أخري.

ولنضرب مثلاً بما حدث لأحد تماثيل الملكة "نفرتاري" في واجهة المعبد الصغير بعد بضعة أشهر من الاحتفال بإنقاذ المعبدين، عندما هبت عاصفة رملية هوجاء أدت إلى تآكل الأنف وبعض أجزاء من وجه ذلك التمثال وقد اختلفت الآراء في تفسير سبب هذا الدمار المؤسف، فهل اختفاء الأشجار التي كانت تخفف من تأثير هذه العواصف على المعبدين ثم تجمع الرمال بين ربوتي المعبدين وأمامها كما كانت الأمور قبل الإنقاذ، قد جعل من المعبدين هدفاً رئيسياً لتلك العواصف؟ أم أن ارتفاع المعبدين ٦٠ متراً إلى أعلى أدى إلى عدم تسرب المياه الباطنية إلى صخور المعبدين مما أدى إلى هشاشة الصخر وسهولة تفتته؟ أم غير ذلك من العوامل ؟

وعلى كل حال، فقد سارعت مصلحة الآثار وقتذاك إلى إزالة ما جمع أو تجمع من الرمال في الموقع الجديد وزرعت الرقعة أمام المعبد الصغير بالحشائش التي أدت بدورها إلى وجود الحشرات التي جذبت الضفادع للتغذي عليها. وقد أدى ذلك بدوره إلى ظهور الثعابين، مما أضطر مصلحة الآثار إلى إيقاف زرع الحشائش، كذلك لم تجد الطيور مكاناً أفضل لأعشاشها من واجهتي المعبدين من ناحية أخرى. وهكذا نجد أن محاربة الإنسان للطبيعة هي عملية شاقة ومستمرة وقد تكون خاسرة أحياناً.

ونظراً لتحول المستوطنة التي أنشأت لسكنى العاملين في إنقاذ المعبدين إلى مدينة جديدة حية، فلابد من العمل على توسيعها واستغلالها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والاستثمارية خصوصاً ما يتعلق بالزراعة الشاطئية والثروة السمكية للمنطقة بأكملها من ناحية، وفي التنمية السياحية من ناحية أخرى نتيجة للتوفيق الذي صاحب عملية إنقاذ المعبدين وعودتهما إلى نفس الوضع الجغرافي السابق في مواجهة الشمس المشرقة في الصباح ونفوذ أشعتها إلى داخل المعبد الكبير مرتين كل عام، أضف إلى ذلك إشراف المعبدين على بحيرة ناصر الضخمة من الأمام وإمتداد الصحراء الشاسعة من الخلف. ويتم ذلك عن طريق إقامة الفنادق والكافتيريات وتيسير الإقامة وتسهيل الزيارة وتوفير وسائل النقل وغير ذلك من الطرق والأساليب الجاذبة للسياح. كذلك لابد من الربط بين زيارة المعبدين من ناحية وزيارة مناطق تجمع المعابد الأخرى من ناحية أخرى.

لقد كان هذان المعبدان يثيران إعجاب كل من مر بهما في العصور القديمة وكانا

عنواناً لقوة مصر وحضارتها. لكن ما لبثت الرمال أن طمرتهما في العصور القديمة وقل الحديث عنهما. وانقطعت المعرفة بهما. أما الآن فقد عادا من جديد يثيران إعجاب الوافدين من كل أنحاء العالم ويجذبان السياح والزوار من كل مكان.



معبد الملكة نفرتاري الصغير بـ "أبو سمبل".

معابد النوبة في الخارج

خلال حملة إنقاذ آثار النوبة برعاية منظمة اليونسكو، أهدت مصر بعض آثارها لبعض الدول التي شاركت في هذه الحملة ؛ اعترافاً منها بالجهود الجبارة التي بُذلت في هذا العمل الضخم المكلف والمعمر في الوقت نفسه، ويقدر عدد الآثار المهداة بخمسة معابد أصبحت سفراءً ثقافيين لمصر في الخارج، فضلاً عن إظهار تلك الآثار عظمة وروعة الحضارة النوبية المصرية القديمة. وهي معبد دابود و معبد تافا ومعبد دندور ومعبد الليسية والبوابة البطلمية من معبد كلابشة.

١- معبد دابود

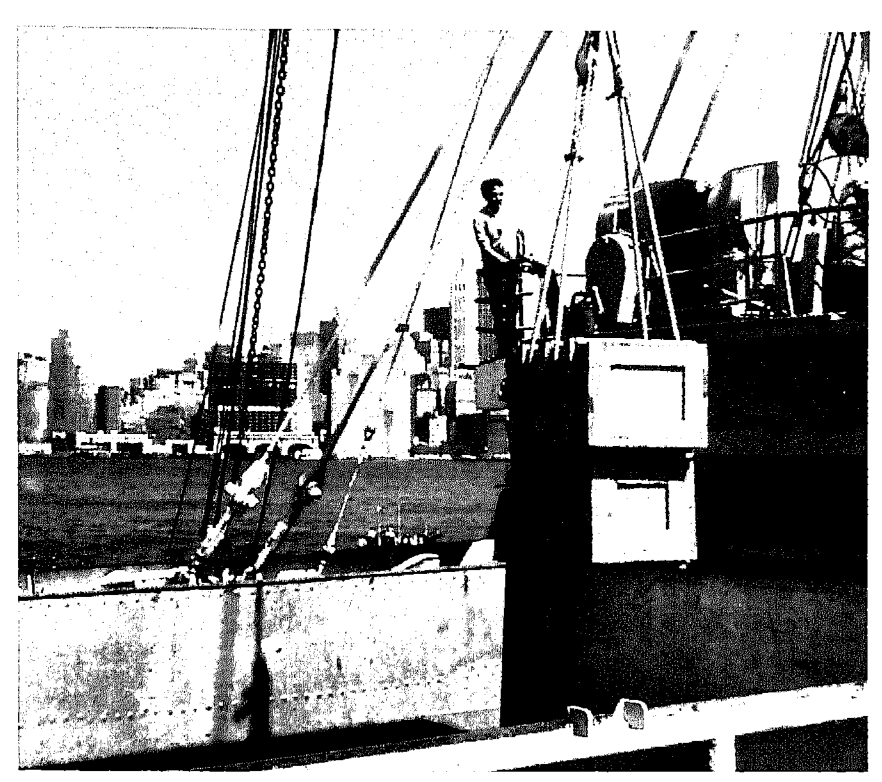
يقوم معبد دابود في قلب العاصمة الإسبانية مدريد الآن. وبُني في العصر البطلمي بواسطة الملك المروي "أزخر آمون" (حوالي ٣٠٠ ق.م) في منطقة دابود إلى الجنوب من أسوان بحوالي ٢٠ كم علي الضفة الغربية لنهر النيل. وحدثت له إضافات أخرى في العصور البطلمية والرومانية المتأخرة. وكان مخصصاً للإله "آمون" سيد طيبة ومروي. ونُقل إلى الخارج عام ١٩٦٥م.

٢- معبد تافا

يوجد هذا المعبد حالياً في متحف الآثار في مدينة لايدن الهولندية. وكان يوجد هذا المعبد الصغير في بلدة تافا حوالي ٥٠ كم إلى الجنوب من أسوان، وليس بعيداً عن شمال كلابشة. ويرجع إلى العصر اليوناني - الروماني.

٣- معبد دندور

كان معبد دندور في الجانب الغربي الملاصق للنهر، حوالي ٨٠ كم إلى الجنوب من أسوان على الضفة الغربية لنهر النيل، في وسط البلدة، وكان محاطاً بمجموعة من المنازل. ويوجد الآن في متحف المتروبوليتان للفن في مدينة نيويورك الأمريكية ، ويعود إلى العصر الروماني ، فترة حكم الإمبراطور "أوكتافيوس أغسطس" (٣٠ ق.م). وكان مخصصاً للأخوين "بادي إيست" و "با حور" ابني الحاكم النوبي المحلي ، وللإلهة "إيزيس". وأصبح كنيسة مسيحية في القرن السادس الميلادي. ونُقل إلى متحف المتروبوليتان عام ١٩٦٥م.



معبد "دندور" في ميناء نيويورك.

٤- معبد الليسية

كان يقع معبد الليسية إلى الشمال من قرية أبريم، وهو معبد صخري صغير، وأهدى إلى إيطاليا بعد حملة إنقاذ آثار النوبة، وأعيد بناؤه بجوار متحف تورينو، ويعود هذا المعبد إلى عهد الملك "تحتمس الثالث" (حوالي ١٤٥٠ ق.م) وخُصص للإله "حورس" سيد ميعام (عنيبة القديمة)، وللملك "سنوسرت الثالث"، وللإله "حورس" سيد بوهن وللإلهة "حتحور" سيدة إبشك. وقُطع المعبد على الشاطئ الشرقي للبحيرة، حوالي ٤ كم شمال قصر أبريم و١كم من شاطئ النهر.

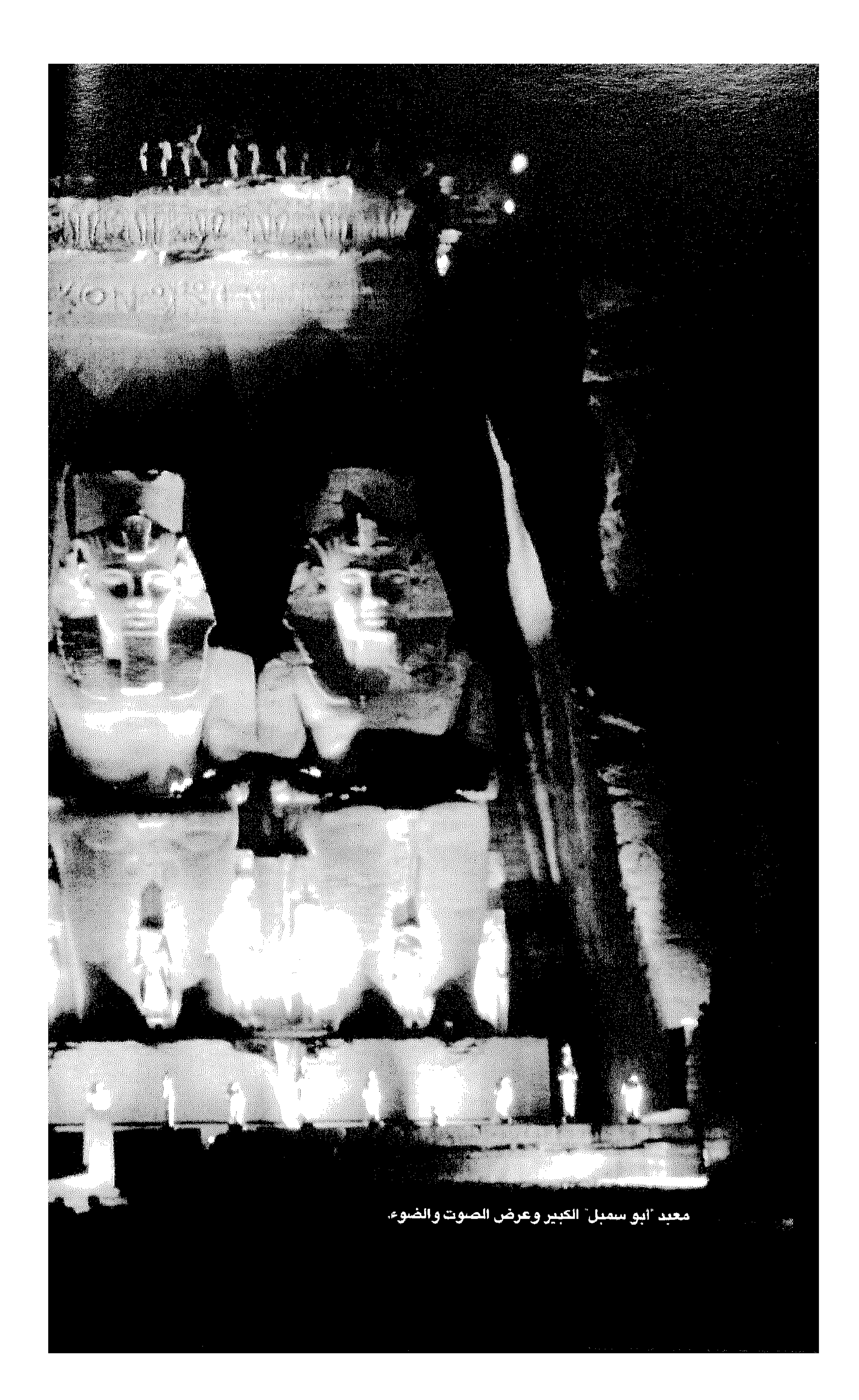
٥- البوابة البطلمية من معبد كلابشة

أثناء فك معبد كلابشة علي يد الأثريين الألمان بين عامي ١٩٦٢ - ١٩٦٣م، عثروا على عدد ضخم من الأحجار في جدران قدس الأقداس والأساسات. وبلغ عدد هذه الأحجار الكلي حوالي ٢٥٠ كتلة محفوظة جيداً بألوانها. منها حوالي مائة كتلة من

المقصورة الصغيرة التي بناها الملك البطلمي "بطلميوس التاسع" (١١٦ - ١١٠ ق.م)، وزخرف بعض أحجارها في عهد الإمبراطور الروماني "أوكتافيوس أغسطس". وأعيد تشييد هذه الكتل الحجرية علي الضفة الجنوبية لجزيرة "الفنتين" في أسوان بواسطة المعهد الآلماني للآثار في القاهرة، وأعطيت أكثر من مائة كتلة من البوابة الضخمة من العهد البطلمي والمزخرفة في عهد "أغسطس"، في عام ١٩٧١م إلى جمهورية ألمانيا الإتحادية (آنذاك) ؛ تقديراً لها على دورها في إنقاذ معبد كلابشة. فأعاد الألمان تشييد هذه البوابة مرة ثانية في المتحف المصري في برلين، والبوابة من الحجر الرملي، ويصل ارتفاعها إلى حوالي ٧ أمتار.



معبد "أبو سمبل" من الداخل بريشة احد فناني القرن التاسع عشر.



معبد "أبو سمبل" الكبير وعرض الصوت والضوء.



مشروع الصوت والضوء

بـ" أبو سمبل"

تأسست شركة مصر للصوت والضوء كشركة حكومية عام ١٩٨٠م. وكان لديها عرضان للصوت والضوء : الأول في منطقة الهرم وافتتح عام ١٩٦١ م. والثاني بمعابد الكرنك بالأقصر وافتتح عام ١٩٧٢م. وانشأت الشركة ثالث مشروعاتها بمعابد فيلة بأسوان وافتتح عام ١٩٨٦م.

وبدأ التفكير في إقامة مشروع الصوت والضوء الرابع بمعبدي الملك "رمسيس الثاني" والملكة "نفرتاري" بـ"أبو سمبل" في بداية تبعية الشركة لوزارة قطاع الأعمال العام. وتم إجراء الدراسات الفنية والهندسية ودراسة الجدوي الاقتصادية إلا أنه تأجل البدء في تنفيذ المشروع لأولوية إحلال وتجديد عرض الصوت والضوء بالهرم كلياً والإحلال والتجديد لعرض الصوت والضوء بالكرنك جزئياً (الأجهزة الصوتية وغرفة الكنترول والتحكم واستبدال نظام التسجيل علي الشرائط بنظام التسجيل علي كروت وهو نظام حديث متطور يعرف بـ "S.S.R").

إعداد مشروع الصوت والضوء

قامت شركة مصر للصوت والضوء استناداً إلى معرفتها الكاملة بطبيعة وامكانيات منطقة "أبو سمبل" السياحية بالتفكير في إقامة مشروع الصوت والضوء الجديد لها بهذه المنطقة. وقام اللواء محمد شفيق بتنفيذ هذا المشروع على أعلى مستوى مراعياً الحفاظ على الآثار واستخدام أحدث تقنيات التكنولوجيا في عالم الإضاءة والسمعيات.

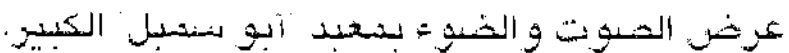
ونظراً لتمتع معبد "أبو سمبل" بشهرة عالمية واسعة حيث ترتاده السياحة من كل الجنسيات . حشدت الشركة كل إمكانياتها وبمساعدة كاملة من الشركة القابضة للإسكان والسياحة والسينما والمجلس الأعلى للآثار ووزارة الثقافة لتنفيذ المشروع بـ "أبو سمبل" لتقديم خدمة عروض الصوت والضوء في أعلى مستوياتها العلمية والتكنولوجية وبذلك يتوفر الآتي :

* استحداث نشاط سياحي جديد بمنطقة جنوب الوادي يتفق مع توجهات الدولة نحو تعمير جنوب الوادي حيث يقام مشروع توشكى وما تقدمه مشاهدة عروض الصوت والضوء من إبهار بصري وسمعي وخدمة معرفية متطورة للمشاهد.
* ضمان زيادة الليالي السياحية بالمنطقة خلال الموسمين الصيفي والشتوي وما يستتبع ذلك من إنشاء وحدات فندقية جديدة وما يرتبط فيها من أنشطة سياحية عديدة وإعادة الحياة للحرف اليدوية التي بدأت في الانقراض.



عرض الصوت والضوء بمعبد الكرنك.

* إضافة بعداً جديداً لإستراتيجية الاستغلال السياحي للمنطقة حيث تحرص شركات السياحة العالمية والمحلية على تلك المنطقة وما يرتبط بذلك من زيادة العائد الاقتصادي والاجتماعي والتنموي للمنطقة ولمصر عموماً.
* بدأت الحكومة العمل بصورة مكثفة وفعالة لتنمية المنطقة وعلى الأخص تطوير مطار "أبوسمبل" ليعمل عليه جميع شركات السياحة المصرية بنظام الرحلات الخاصة والرحلات المنتظمة وكذلك توفير نظام الطيران الليلي.
* العمل علي فتح الطريق البري للسياحة والربط بين مدينة أسوان ومدينة "أبوسمبل" والوجود الأمني والصحي والخدمي على إمتداد الطريق.
* تنمية المنطقة اجتماعياً حتى تتوفر فرص العمل مما يساعد على عودة الأيدي العاملة المهاجرة.

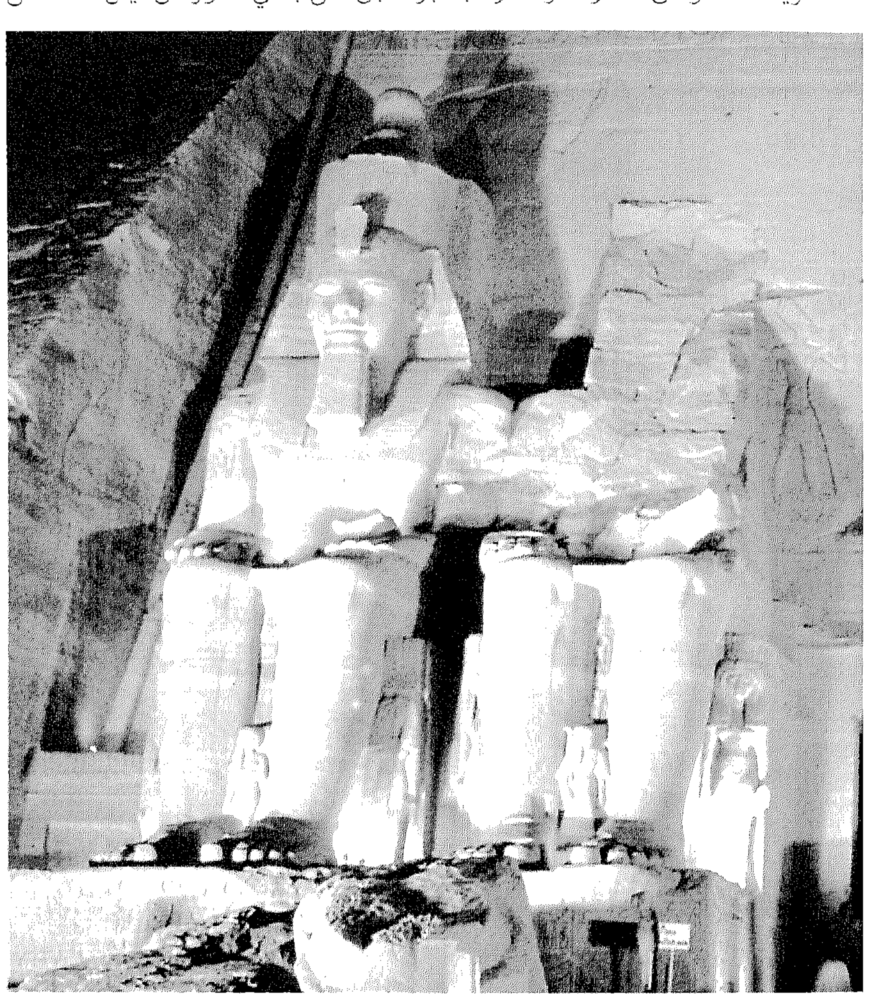


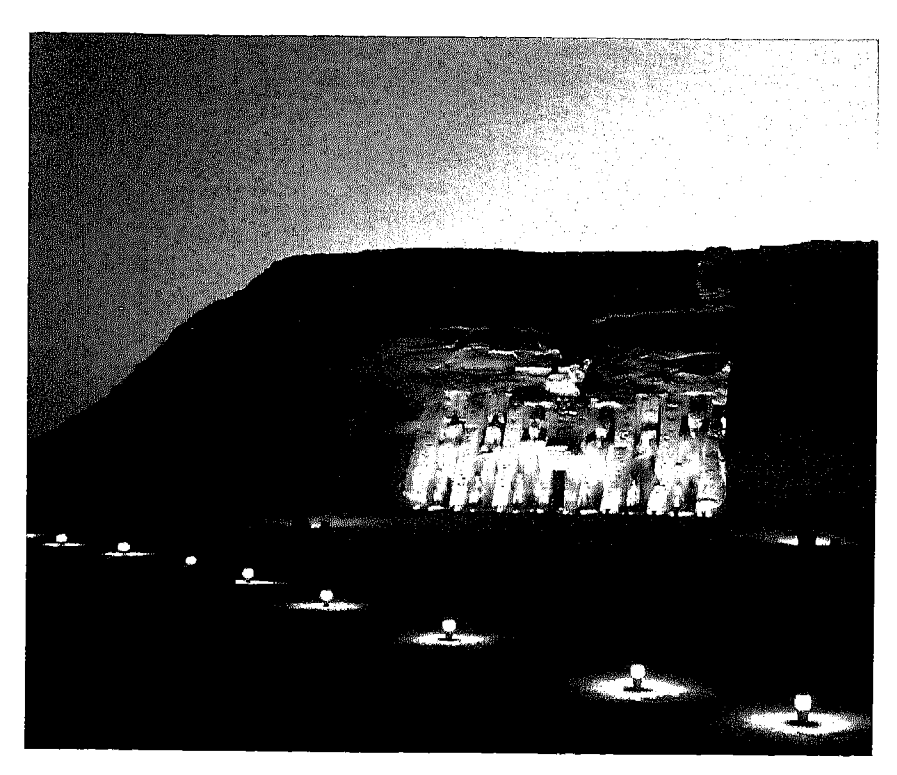
عرض الصوت والضوء بمعبد "أبو سمبل" الكبير.



وفي سبيل تنفيذ المشروع قامت الشركة:

* بتشكيل لجنة لإعداد النص الخاص بالعرض وشارك فيها السادة الأساتذة الأثريون وفي مقدمتهم المرحوم الدكتورجمال مختار. والدكتورجاب الله علي جاب الله، و مؤلف هذا الكتاب.
* تم الاستعانة بخبراء السيناريو وترجمة النص إلى ثمان لغات عن طريق الأساتذة والمتخصصين في ذلك. كما تم المراجعة أيضاً للسيناريو المترجم عن طريق السادة الأثريين المتخصصين في اللغات الثمانية (العربية / الإنجليزية / الفرنسية / الألمانية/ الإيطالية / الإسبانية / اليابانية / الروسية).
* تم تسجيل العروض فنياً عن طريق الفنانين بكل بلد حسب لغات العرض. ويختلف عرض الصوت والضوء بـ "أبوسمبل" عن باقي العروض ليس فقط من





تكنولوجيا الإضاءة الحديثة بمعبد "أبو سمبل" الصغير.

ناحية إمكانية مشاهدة العرض بثمان لغات عن طريق سماعات الأذن مع إذاعة لغة منها عن طريق السماعات الخارجية ويشترك الجميع في سماع الموسيقي لغة الجميع، بل إن العرض أكثر إبهاراً وجمالاً وملخصه أن الملك "رمسيس الثاني" يحكي تاريخه وأمجاده وانتصاراته العسكرية وقصة بناء معبده ومعبد زوجته الجميلة الملكة "نفرتاري".

والمشاهد يري واجهة المعبدين والتماثيل الضخمة بألوانها الزاهية التى كانت عليها عند بناء المعبدين ومشاهدة ظاهرة تعامد الشمس على الجدران الداخلية للغرفة الخلفية للمعبد الكبير، التي تحدث مرتين في السنة.

ويشرح الريح للمشاهدين تفاصيل النقوش الموجودة داخل المعبدين وينقلها إليهم خارجهما بواسطة الصور الجميلة المصحوبة بالمؤثرات الصوتية والضوئية الشيقة. ويري المشاهد قصة إنقاذ المعبدين من الغرق وكيف تم نقلهما إلى موقعهما الحالي. ويوضح العرض فترة من حياة الملك "رمسيس الثاني" المتعلقة بمعبدي "أبو سمبل"، ومعظم اللوحات المضيئة مأخوذ من داخل المعبدين ومن مقبرة الملكة "نفرتاري" بالأقصر.

المكونات الفنية للمشروع

تم استخدام أحدث أنظمة الإضاءة التي صمم بعضها خصيصاً لهذا المشروع وقد استخدمت أيضاً كشافات لإنتاج أشعة ضوئية قوية صاعدة إلى السماء من خلف المعبد الكبير كمؤثر درامي يظهر في العرض عندما تكون واجهة المعبد بألوانها الزاهية وقت إنشائه، بالإضافة إلى استخدام أربع وحدات بروجيكتور قوية. لإسقاط الصور الملونة فوق التلال المقام داخلها المعبدان وتغطيتها بالكامل.

وتم استخدام أحدث الوسائل التكنولوجية للتحكم في العرض (صوتاً وإضاءة) باستخدام جهاز كمبيوتر.

واشترك أربعون ممثلاً وممثلة من جميع الجنسيات لتسجيل العرض بثمان لغات، بالإضافة إلى متخصصين في المؤثرات الصوتية وسبعين عازفاً لوضع المؤلف الموسيقي.ومن الجدير بالذكر أن المخرج الفني لعرض الصوت والضوء في "أبو سمبل" هو الفنان "إريك تني Eric Teunis"، وقام بتأليف الموسيقي الموسيقار "بب لوبيس Lloppis Pep"، وكتب السيناريو "رفائيل رودري جويز Rafael Rodri Guez" وصمم المناظر "خافير جارسيا Javier Garcia".

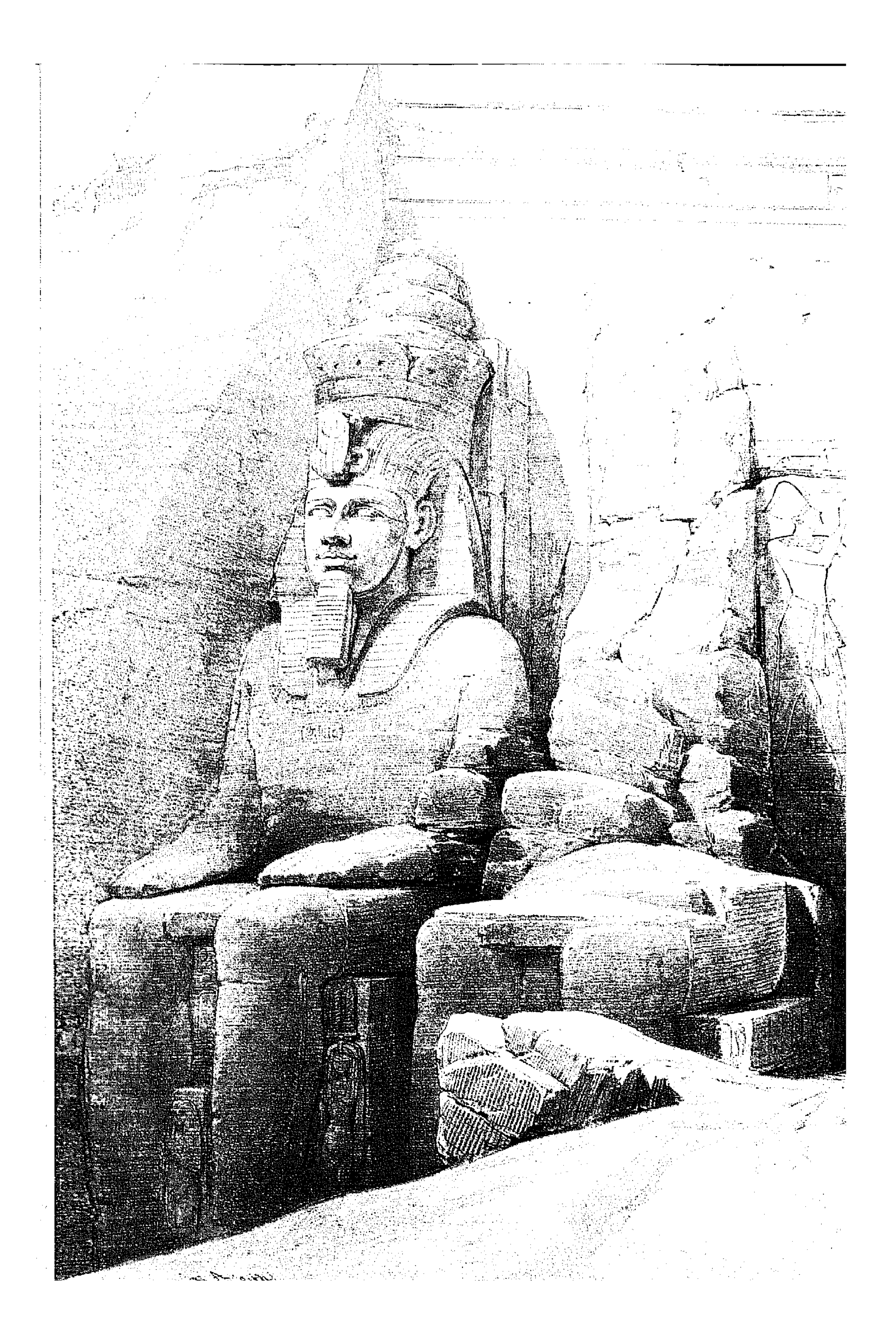
وقد تم تنفيذ المشروع بطريقة حضارية لا تؤثر على المعبد أو البانوراما إطلاقاً، بل على العكس تم وضع المقاعد التي تسع حوالي ٤٠٠ شخص في الجانب الشمالي الشرقي للمعبد وحتى ترى بالعين المجردة، وتم وضع الأجهزة داخل صناديق استغلت كمقاعد للمشاهدين الذين يزورون المعبد أثناء النهار.



معبد الملكة نفرتاري أثناء عرض الصوت و الضوء.



معبد "أبو سمبل" بريشة أحد فناني القرن التاسع عشر.



فرعون مصر رمسيس الثاني
بداية الأسرة التاسعة عشر

عقب وفاة الملك "أخناتون"، تتابع على عرش مصر ملوك حاولوا إعادة الأوضاع في مصر إلى سابق عهدها من القوة والازدهار، فاختتم الملك "حورمحب" عهد الأسرة الثامنة عشر بمجموعة من الإصلاحات الداخلية والتشريعات القانونية التي قومت جميع الانحرافات وقضت على الفوضى في شتى نواحى الحياة. وكان هذا الملك قائداً للجيوش ونائباً للملك خلال فترة العمارنة، وعندما تزوج من الأميرة "موت نجمت" لم ينجب منها ولداً يخلفه على عرش مصر، فاستعان برجال الدولة لتنفيذ سياساته الإصلاحية أمثال الضابط "سيتى" وابنه الشاب "رمسيس" الذى إلتحق بالجيش ضابطاً ثم أصبح قائداً لسلاح العجلات الحربية ثم مندوباً دبلوماسياً عن الملك فى البلدان الأجنبية، ثم قائداً لقلعة "سيلى" الحدودية ومسؤولاً عن حماية سواحل البحر المتوسط ، ثم صار وزيراً للجنوب أى أنه أصبح الساعد الأيمن للملك في طيبة. ولم تقف طموحات الشاب "رمسيس" عند هذا الحد، فتفانى فى أداء تكليفات الفرعون "حورمحب" له ، فكافأه بتعيينه نائباً للملك فى الشمال والجنوب، والأمير الوراثى لكل البلاد، أى أنه أصبح ولياً للعهد والوريث الوحيد لعرش مصر. وقد أنجب الأمير الوراثى "رمسيس" ابناً يدعى "سيتي" تزوج فى شبابه من "تويا" ابنة قائد سلاح العربات الحربية، وكوّن الشابان أسرة صغيرة، توفى طفلهما الأول ، لكن الأقدار عوضتهما بطفل ثان نال من الشهرة والخلود فى ذاكرة التاريخ مالم ينله ملك سواه، إنه الملك "رمسيس الثانى".

وبوفاة "حورمحب" انتقل الحكم إلى أسرة جديدة هى أسرة الأمير الوراثى "رمسيس"، الذى تولى العرش تحت اسم "رمسيس الأول" (من بحتى رع) وخلفه على العرش ابنه "سيتى الأول"، الذى حرص على تدريب وتثقيف طفله "رمسيس"، ليصبح مؤهلاً لتولى الملك، فأشركه فى الحكم وهو ما يزال فى العام السادس عشر من عمره. وحفظ لنا التاريخ، النص الخاص باختيار "سيتى الأول" لابنه "رمسيس" ليكون وريثه على العرش وشريكه فى الحكم فيقول النص :

"عندما ظهر أبى للجمهور، وكنت وقتئذ فتى يافعاً تحت رعايته تحدث عنى : "اجعلوه يبدو ملكاً كى أشاهد جماله وأنا مازلت حياً، . . . ، ضعوا التاج الكبير على رأسه ، . . . ، فسوف يدير هذه البلاد ، وسوف يصرف شؤونها ، وسوف يقود شعبها. هكذا تكلم لأنه كان يحبنى من صميم قلبه".

وأسند "سيتى الأول" لابنه رمسيس قيادة الجيش والإشراف على مشاريع البناء الضخمة فى أبيدوس ومعابد الكرنك ومعبد ملايين السنين الخاص بأبيه "سيتى

الأول" في القرنة، وها هو الأمير "رمسيس" يحدثنا عن المهام التى كُلف بها قائلاً :

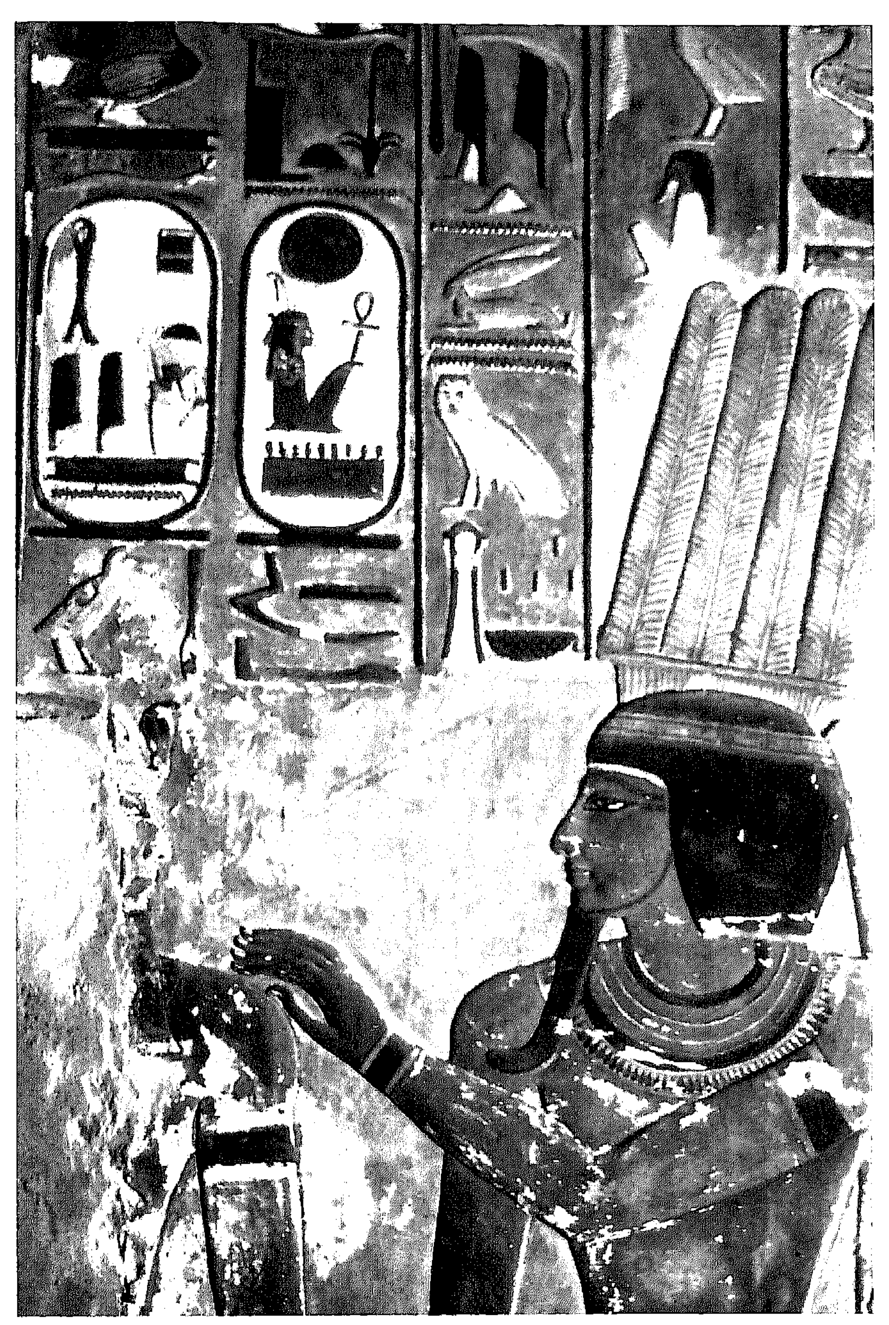
"منذ بداية تعييني، وأنا مشغول هناك في أبيدوس ، فأنا الذي شكلت هيئة لأبى من الذهب " ؛ أي أنه الذي أشرف على صب تمثال من الذهب لأبيه الملك "سيتى الأول".
لقد تلقى الأمير "رمسيس" تنشئةً عسكريةً مثل باقي أمراء مصر القديمة، فتعلم فنون القتال والتكتيكات العسكرية، وأصبحت حروب أبيه العديدة التى صال وجال خلالها في أراضي سوريا وليبيا بمثابة دروس عملية لقنته أساليب الهجوم والدفاع وحصار المدن والقلاع وغيرها من أمور الحرب.
ففي العام الثالث عشر من حكم أبيه "سيتى الأول"، خرج الأمير "رمسيس" على رأس حملة إلى بلاد النوبة، قاد فيها الهجوم بنفسه وتمكن من تأديب متمردى النوبة السفلى ؛ وتخليداً لذكرى انتصاراته في النوبة ومعاركه التى شارك فيها أباه في سوريا، أمر الملك "رمسيس الثانى" بعد ولايته العرش بحفر معبد صخري صغير بمنطقة " بيت الوالي " بجوار كلابشة.

ولاية رمسيس الثاني

وفي صيف عام ١٢٧٩ ق.م، اعتلى رمسيس عرش البلاد رسمياً وأضاف إلى اسمه الشخصى ("ابن الشمس وسرماعت رع ستب إن رع") مجموعة الألقاب الملكية، كان أولها اسم العرش (ملك مصر العليا والسفلى رمسيس محبوب آمون)، وحورس الثور القوى، وحورس الذهبى، ومحبوب الربتين واجيت ونخبت، ثم وصف بمجموعة من الصفات تنم عن نشاطه الدؤوب في المجالين العسكري والمعماري فوصف أنه :

"محبوب رع، الذى يطأ كل البلاد الأجنبية بنعليه
حامى مصر، وقاهر البلاد الأجنبية، ابن رع،
مؤسس الأرضين المحارب، الذى يحمى جيشه
عظيم الانتصارات على كل البلاد الأجنبية
قاهر البلاد الأجنبية وقامع المتمردين
عظيم الرعب

محبوب الإلهة ماعت، سيد أعياد اليوبيل (حب سد) مثل أبيه بتاح تاتنن ، مشيد الآثار النافعة لأبيه آمون في معبد الأقصر".
وما أن اعتلى "رمسيس الثانى" عرش مصر، حتى أظهر نشاطاً منقطع النظير في مجال البناء جعله سيد البنائين طوال عصور التاريخ المصرى، فلم يستطع أي ملك مصري أن ينافسه في مجال البناء، ويؤكد ذلك، الكشف عن تمثال مزدوج غير



مقبرة الملك سيتي الأول في وادي الملوك.

مكتمل للملك "رمسيس الثانى" مع الإله "رع حور آختى" عثرنا عليه إلى الناحية الجنوبية من الهرم الثالث، أثناء الحفائر التى قمنا بها في هذه المنطقة، وقد كان مفاجأة أن نكشف عن آثار لـ "رمسيس الثاني" بمنطقة أهرام الجيزة على الرغم من أنه كان قد أقام لنفسه مذبحاً أمام تمثال "أبو الهول" ويحتمل أنه قد أقام تمثالاً لنفسه بين أحضان التمثال، وأضاف هذا الكشف الحديث نقطة جديدة فى تاريخ هذا الملك العظيم الواسع البناء، وقد عثر على هذا التمثال المزدوج مكسوراً في المنتصف، لذا تركه النحات في مكانه وأعتقد أن المهندس "ماي" الذي عثر على اسمه مكتوباً على أحجار هرم "خفرع" الذي كان مديراً لكل أعمال الملك "رمسيس"، هو الذى أمر بنحت هذا التمثال لوضعه بمعبد "رع" بهليوبوليس ونتيجة لوقوع خطأ في التنفيذ تركه بالموقع، وهذا واحد من أحدث اكتشافات الملك "رمسيس الثاني"، وحقيقة فإنه ما من مكان فى أرض مصر يخلو من أثر لهذا الملك. بدأ "رمسيس" عمائره على أرض مصر بتشييد معبد الرامسيوم، ومعبده الخاص فى أبيدوس، ومعبدى "أبوسمبل" ومعابد بيت الوالى والسبوعة فى النوبة السفلى وأضاف صالة وصرحاً ومسلتين أمام واجهة معبد الأقصر وأضاف إلى معابد الكرنك صالة الأعمدة الكبرى التى تضم ١٣٤ عموداً وهي الصالة التي كان العمل قد بدأ فيها أيام والده الملك "سيتى الأول"، ومعبد بتاح فى منف.

وازدانت أرض مصر جميعها بتماثيل الملك رمسيس الثانى مختلفة الأحجام والهيئات، ونالت آثار أسلافه ومبانيهم قدراً كبيراً من اهتمامه، فشرع فى ترميم المنهار منها وإكمال مالم يتم بناؤه، فعندما زار منطقة أبيدوس فى السنة الأولى من حكمه ليتفقد العمل فى بناء معبده ، ترك لنا نصاً يوضح مدى ألمه وحزنه على ما أصاب مقابر أجداده ومبانيهم من عوادى الزمن يقول النص :

"وجد المبانى والمقابر فى جبانة الملوك السابقين بأبيدوس متداعية ، وعلى وشك الانهيار، وأجزاء منها لم تستكمل بعد ، والجدران مهملة ومتروكة دون اكتمال، وحجارتها لم تعد فى مداميكها ، ولم تستمر أعمال البناء فيها. بعد أن رحل أصحابها إلي السماء. ولم يجدد أى من الأبناء أثر أبيه فى الجبانة.

إن مقدمة ومؤخرة معبد "سيتى الأول"، كانتا فى مرحلة الإنشاء عند انتقاله إلى السماء، وآثاره لم تستكمل، ولم ترتفع أعمدته على شرفاتها، وتمثاله راقد على الأرض لم ينحت، وتوقفت القرابين ، وتوقفت الخدمة الكهنوتية ونهبت منتجات الحقول . . . . ." .

وإزاء هذه الحالة السيئة لآثار أبيدوس ، جمع رمسيس الثانى رجاله ووجّه إليهم أوامره قائلاً :

" انظروا، لقد جمعتكم لأعرض عليكم ما بفكرى، إن أجل الأعمال هو تكريم من

رحلوا عنا. وخير للابن أن يهتم بأبيه . لقد قررت أن أهب المنح إلي "من ماعت رع" (سيتى الأول) حتى يقال للأبد .. إن ابنه الذى خلد اسمه ، ولينعم على أبى أوزير بطول بقاء ابنه الفرعون".

ثم يستطرد النص قائلاً :

" أصدر جلالته الأوامر لمديرى الورش، وخصص الجنود والعمال والمثالين لبناء معبد أبيه وترميم ما تهدم في الجبانة".

لقد اعتبر الفرعون رمسيس الثانى أن عمائره ومعابده التى شيدها بمثابة تكليفات مقدسة ألقت بها الآلهة إليه، نجده في نصوصه يتباهى بذلك معتبراً نفسه المخول للبناء من أجل "آمون"، وأنه القائم على أعمال "آمون" فيقول في نصه :
" إنه الإله الطيب رمسيس، الذى بلغ من العلم والكتابة مبلغ الإله تحوت ،مدركاً لحقائق الأمور، خبيراً بقواعد السلوك ، وبعد أن أطلع على سجلات "بيت الحياة" وكشف عن أسرار السماء وخفايا الأرض ". . .. . ، أنا من تظهر على يديه الأعمال المفيدة ، استقر رأيى على تنفيذ مشاريع الإله "آمون"، وإقامة منشآت بمعبده جنوب طيبة ".

لذا نعتقد أن الفكرة التى أخذت عن رمسيس الثانى ومحوه لأسماء أجداده من الآثار وإضافة أسمائه، هى فكرة غير صحيحة ؛ فالبعض يرى أن في هذا حماية للأثر من الإعتداء عليه، فرمسيس الثانى هو أقوى شخصية في البلاد ولن يجرؤ أحد على الاعتداء على أثر سجل عليه اسم رمسيس الثانى، وهناك من يرى أن تماثيل رمسيس الثانى بمنف كانت في الأصل لملوك الدولة الوسطى خصوصاً الملك "سنوسرت الثالث"، الذين اغتصبوها من تماثيل الملك "خفرع" الضخمة التي كانت مقامة داخل المعبد الجنائزي أو في معبد "أبو الهول"، التي قدر عددها بحوالي ٥٨ تمثالاً.

رمسيس الثانى بين الحرب والسلام

وما أن دانت الأمور الداخلية للفرعون، حتى إتجه بناظريه ناحية البلدان الأجنبية، فوجد أمامه سياسة عامة للتعامل معها، أرسى دعائمها أسلافه من ملوك الأسرة الثامنة عشر، واعتمدت في المقام الأول علي توسيع الحدود المصرية لتكوين إمبراطورية مترامية الأطراف تضمن لأرض مصر استقرارها وأمنها الداخلى.

وبهذا تكون علاقة مصر بجيرانها قد تحولت من علاقات حسن الجوار القائمة على

التبادل الاقتصادى خلال عصري الدولة القديمة والوسطى، الى السياسات التوسعية. وهو تحول نتج عن تعرض مصر للغزو الأجنبى علي يد الهكسوس الذين سيطروا علي منطقة الدلتا ومصر الوسطى حتى الحدود الشمالية لمصر العليا.

وولد هذا الغزو فى الشعب المصرى وحكامه روحاً قتالية جديدة، فخرجت الجيوش المصرية منذ عهد "أحمس الاول" تفرض النفوذ والسطوة المصرية علي بلدان سوريا حتى حدود آسيا الصغرى شمالاً، وعلى بلاد النوبة حتي جبل برقل جنوباً.

فقد أدرك المصريون أن تأمين حدود مصر لن يتأتى إلا بالسيطرة على الأماكن التى يخرج منها الغزاة ، خاصة فى آسيا، بالإضافة إلى ضرورة السيطرة على موارد وثروات هذه البلاد الطبيعية كأخشاب الآرز وغيرها.

إلا أن الإمبراطورية المصرية تعرضت لهزة عنيفة أيام الملك "أخناتون"؛ نتيجة دعوته الدينية التي جعلته يركز كل اهتماماته على نشر الدعوة الجديدة ومحاربة



رمسيس الثاني فرعون الانتصارات يذبح أعداءه أمام الإله حورس - معبد "أبو سمبل".

ديانة "آمون". فانصرف عن شؤون الإمبراطورية بل أقسم على لوحات حدوده أنه لن يترك عاصمته "آخت-آتون" ولن يوسع حدوده، الأمر الذى شجع القوى المجاورة لمصر من الحيثيين والآشوريين؛ فأغاروا على الإمارات التابعة للإمبراطورية المصرية فى بلاد الشام وانتزعوا الواحدة تلو الأخرى.

وما أن مات "أخناتون" وعادت الأوضاع في مصر إلي ما كانت عليه قبل عهده، انطلق ملوك الأسرة التاسعة عشر من جديد نحو الحدود الشمالية الشرقية، ليستعيدوا ممتلكات مصر في سوريا، وقد ساعدهم في ذلك ما تمتعوا به من طبيعة عسكرية، فمؤسس الأسرة التاسعة عشر، "رمسيس الاول"، كان قائداً للجيوش ووزيراً للملك "حورمحب". ثم خلفه الملك "سيتي الاول" الذي قاد جيوش أبيه وتذكر لوحة بأبيدوس أنه"جمع شتات الجيش ووحّد هدفه". ويقول: "اخضعت لجلالته "رمسيس الأول" أراضي الفنخو وصددت المتمردين من البلاد الأجنبية، كي احمي له مصر كما كان يتمنى".

وعندما انفرد "سيتي الأول" بحكم البلاد قاد ست حملات نحو الحدود الشمالية الشرقية. وفي عهده حدث أول صدام مباشر بين المصريين والحيثيين وربما أبرمت في عهده اتفاقية بين مصر وخيتى، وردت بشأنها إشارة في معاهدة رمسيس الثاني وخاتوسيل الثالث.

حروب رمسيس الثاني قبل معركة قادش

وهكذا ورث "رمسيس الثاني" عن جده ووالده الروح العسكرية ونزعة التوسع وبسط النفوذ، وما أن تولي الحكم حتي تعرضت الدلتا لأولي موجات شعوب البحر فحاربهم ودرأ خطرهم واتخذ من أسري الشردانة جنوداً مرتزقة في جيشه.

وقد خلّد "رمسيس الثاني" ذكرى دفاعه عن أرض مصر وصد هجوم شعوب البحر في نقش صخرى بأسوان مؤرخ بالعام الثاني من حكمه، ومن بين عباراته الجميلة في هذا النقش: "وقد هلك محاربو البحر ونامت الدلتا في سلام". ويضيف النقش أن الملك "رمسيس الثاني" هوالذى حطم أجانب الشمال وسقط التمحو(الليبيون) خوفاً منه. وتذكر لوحة أخري من تانيس في شرق الدلتا استيلاءه علي البلاد الغربية التي يحتمل اشتراكها وتحالفها مع الشردانة. أما عن نشاطه العسكري في بلاد النوبة، فقد ورد بشأنه تصوير للملك، في معبد بيت الوالي و"أبو سمبل"، يحارب النوبيين. فقد رسخ فى فكر ملوك الدولة الحديثة مبدأ سياسى مهم وهو ضرورة تأمين جبهة النوبة قبل الخروج لملاقاة جيوش الأعداء فى سوريا تجنباً لتكرار ما حدث أيام الهكسوس عندما وقع ملوك طيبة بين شقى الرحى بتحالف الهكسوس مع النوبيين، لذلك حرص ملوك الدولة الحديثة على إخضاع أراضى النوبة

لسلطانهم مطبقين فى ذلك سياسة جديدة لا تقوم على التوسعات العسكرية بل تعتمد على نشر عبادة الأرباب المصرية بين أهالى النوبة، فزادوا من إنشاء معابد الآلهة المصرية مثل آمون رع وبتاح وحورس وحتحور، بل قُدس فى مناطق النوبة بعض الملوك المصريين مثل سنوسرت الثالث ورمسيس الثانى. وتمتعت هذه الآلهة ومعابدها بنفوذ كبير بين النوبيين، ومارست المعابد المصرية دورها فى تمصير أهالى النوبة وضمان ولائهم للفرعون، الذى كان تجسيداً للإله على الأرض. وهى سياسة نعرفها بـ "دولة المعبد Temple State". فتوافدت على أراضى مصر موارد النوبة البشرية والمادية من جنود ومعادن لنصرة جيوش الفرعون فى حروبه.

معركة قادش

تقوم شهرة "رمسيس الثاني" كمحارب جسور تقوم في المقام الأول علي حملاته الآسيوية، التي استهدف منها امتلاك الساحل السورى أولاً ثم استعادة مستعمرة أمورو وبعدها قادش ومنها إلي قلب سوريا الشمالي حتي حلب ؛ فخرج في العام الرابع من حكمه في أولي حملاته علي سوريا لتأمين مدن الساحل الفينيقي، تمهيداً لحملاته القادمة فاستولي علي صور وجبيل وتجاوزهما الي عرقاتا ثم توغل شرقاً لمواجهة دولة أمورو فدانت لحكمه في شهرين. وأصبح "رمسيس الثاني" علي مشارف قادش وخلد ذكرى انتصاراته علي لوحتين عثر علي إحداهما عند مصب نهر الكلب والأخرى في جبيل بلبنان .

ونتيجة الاندفاع المصري الرهيب في الأراضي السورية، فكر ملك الحيثيين "موتاسيل" في حل ثلاثي وهو ؛ استعادة امورو، وحماية قادش وما حولها، وتوجية ضربة قاسية للفرعون الشاب حتي يرجع عن تهديداته لممتلكات الحيثيين في سوريا، فحشد موتاسيل قواته وجمع من حوله الأحلاف، وأوردت التقارير المصرية أن جيش الحيثيين وقتها حشد قواته من ست عشرة مقاطعة ومملكة حليفة للملك خيتى، وأن عدد هذه القوات بلغ ٢٥٠٠ عربة حربية وفرقتين من ١٨ - ١٩ ألف مقاتل .

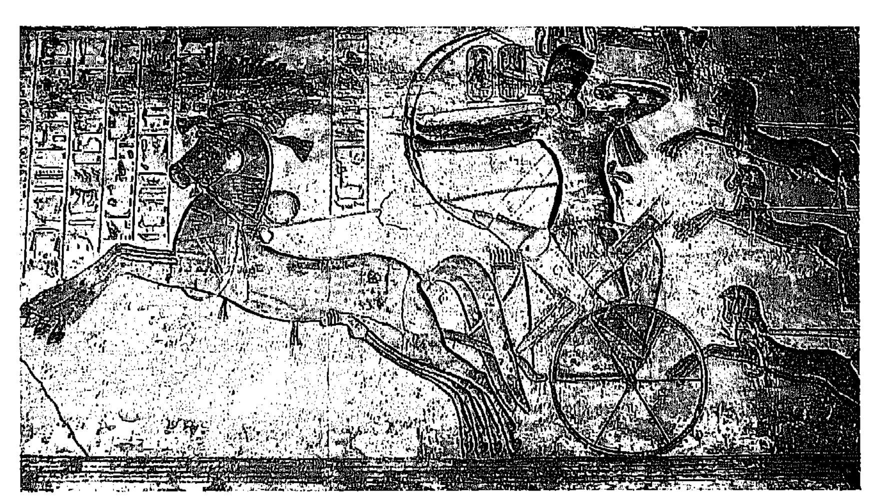
وربما تكون معركة قادش أشهر معارك التاريخ المصرى القديم فما من بناء شيده "رمسيس الثاني" إلا وخلد عليه ذكرى انتصاره في هذه المعركة، لذا توافرت لدينا المصادر العديدة عن هذه المعركة سواء الأدبية أو المصورة، فعرفنا الكثير من تفاصيلها وطبوغرافية مواقع أحداثها وتكتيكات الجيشين المتصارعين ومناوراتهما.

ولقد صورت أحداث المعركة علي جدران معابد الكرنك والأقصر والرامسيوم و"أبوسمبل" وكتبت بالهيراطيقية علي بردية ببيلج بمتحف اللوفر، وبردية ساليه

الثالثة، وبردية شستر بيتي الثالثة بالمتحف البريطاني في لندن، إلا أن أهم مصادر هذه المعركة هي القصيدة الملحمية المسماة بقصيدة "بنتاؤور".
وتصف النصوص المصرية بداية تحرك الجيش المصري من قلعة ثارو (تل حبوة شرق القنطرة) قائلة :

وبعد أن أعد جلالته فيالقه وعرباته القتالية والشردانة الذين جندهم جلالته بعد أن انتصر عليهم" شرح لهم خطط الحملة. وبدأت المسيرة بشكل جيد في السنة الخامسة من حكمه ، في الشهر الثاني من فصل الشمو، في اليوم التاسع، فقسّم رمسيس الثاني جيشه الي أربع فرق تسمت بأسماء الآلهة آمون ورع وبتاح وست وقاد رمسيس الثاني فرقة آمون.

وكانت الفرق الثلاث الأخري تحت قيادة أمراء البيت المالك. وحدّد رمسيس الثاني خط سير كل فرقة، واستقر رأيه على أن تتقدم فرقة "آمون" بقيادته عن طريق البر إلي كنعان ثم إلى جنوب سوريا حتى تصل إلى قادش، بينما تسلك القوات المعاونة طرقاً أخرى ثم تنحرف للداخل لتلتحم بالقوات الرئيسية بقيادة الفرعون عند قادش علي أن يكون وصولها في اليوم الذي تصل فيه القوات الأساسية.
ووصفت النصوص المصرية مسيرة الجيش وتوغله في أراضي فلسطين ودولة أمورو قائلة : "اخترقت قواته الشعاب الضيقة، كما لو كانت تمشي فى شوارع مصر".
وعلى بعد ٢٥ كم من قادش، عسكّر الجيش المصري، وفي صباح اليوم التالي واصل الجيش زحفه ليصل إلي مدينة شبتونة، الواقعة علي الضفة الشرقية لنهر العاصي، وأثناء الزحف جاءه اثنان من بدو الشاسو لتأكيد ولائهما وولاء رؤوسائهما للملك



رمسيس الثاني يمطر الحيثيين بالسهام من فوق عربته الحربية في معركة قادش- معبد "أبو سمبل".

المصري والانسلاخ عن الحيثيين، فسألهما رمسيس الثاني : "أين كان هؤلاء الشيوخ أخوانكم؟". فأجاب الرجلان علي الفور : "أنهم موجودون حيث يوجد ملك الحيثيين، وأن الحيثيين الأعداء في حلب شمال تونب، وأن الإمبراطور يخشي التقدم نحو الجنوب منذ أن سمع بزحف الفرعون نحو الشمال".

وبناءً على معلومات البدويين، فإن الحيثيين يعسكرون على بعد حوالى ٢٠٠ كم من قادش، وهى معلومات شجعت "رمسيس الثاني" على التقدم نحو قادش مسرعاً بفرقة "آمون" وترك خلفه فرقتي "رع" و"بتاح" ومن خلفهما فرقة "ست". فعبر رمسيس وفرقته شبتونة واتجه إلي قادش دون أن ينتظر تجمع القوات.

وعندما وصل رمسيس بفرقته إلى شمال غرب قادش، كانت فرقة "رع" تعبر شبتونة وفرقة "بتاح" عند جنوبي أروناما (حوالى ٢٢ كم جنوب غرب قادش) أما فرقة "ست" فكانت في مكان ما علي الطريق وشرعت فرقة "آمون" فى نصب معسكرها غرب قادش انتظاراً لتجمع بقية القوات وهنا قبض رجال "رمسيس الثاني" على اثنين من جواسيس العدو اعترفا بأن جيش الحيثيين يقف متحفزاً شمال شرق قادش وليس عند حلب كما ذكر رجلا بدو الشاسو. وعندما أدرك "رمسيس الثاني" الخديعة التي حاك خيوطها ملك الحيثيين، أرسل "رمسيس الثاني" وزيره لاستعجال فرقة "بتاح" وحمّله رسالة لها كان نصها : "اسرعوا بالزحف ! سيدكم الفرعون يقف في المعركة وحيداً".

وقد أحسن "موتاسيل" ملك الحيثيين اختيار توقيت الهجوم علي الجيش المصري، فعندما عبرت فرقة "رع" شبتونة، شن هجومه المفاجيء، واندفعت ٢٥٠٠ عربة حربية نحو فرقة "رع" التي لم تكن في وضع يسمح لها بالقتال فأصاب الذعر والاضطراب صفوفها وتفرق شملها، واتجه بعضها نحو فرقة "بتاح" جنوباً، والباقي نحو فرقة "آمون" شمالا، فتتبعتها قوات الحيثيين شمالاً ،وواصلت ضغطها علي القوات المصرية حتي وصل الحيثيون إلي معسكر فرقة "آمون" واقتحموه وتشتت شمل هذه الفرقة، وهرب الجنود من ساحة القتال، ولم يبق في المعسكر سوى رمسيس وحفنة من ضباطه وجنوده وحرسه الخاص.

وهنا تجلت شجاعة الملك الذي راح ومن معه يدافعون ويصدون هجوم الحيثيين، فعاد بعض الفارين وتكونت داخل المعسكر المصري نواة صلبة من المقاومة، ثم اقتحم رمسيس الثاني صفوف الحيثيين نحو الجنوب حتى يتمكن من الالتحام بفرقة "بتاح"، وفي هذا الوقت العصيب وصلت النجدة إلي رمسيس الثاني. لكنها ليست فرقة "بتاح" بل فرقة "النعارين" المكونة من الشباب الذين كلفهم رمسيس الثاني بتأمين الطريق الساحلى ثم الالتحام بالجيش عند قادش ، وكان لوصول هذه الفرقة ساحة القتال ،الأثر البالغ في تحويل ميزان القوي لصالح المصريين، فانهارت أمامهم عربات الحيثيين الحربية. فدفع "موتاسيل" بألف عربة حربية أخرى لميدان القتال

إلا أنهم لم يفلحوا أمام بسالة وقوة الجيش المصري وصموده الذي اتخذ من قائده رمسيس الثاني المثل الأعلي في الكفاح والقتال، وتمكنوا من هزيمة العدو الذي فر أفراده وألقوا بأنفسهم في مياة نهر العاصي. وزادت قوة المصريين بوصول فرقة "بتاح" وأصبحت لهم اليد العليا في ميدان القتال.

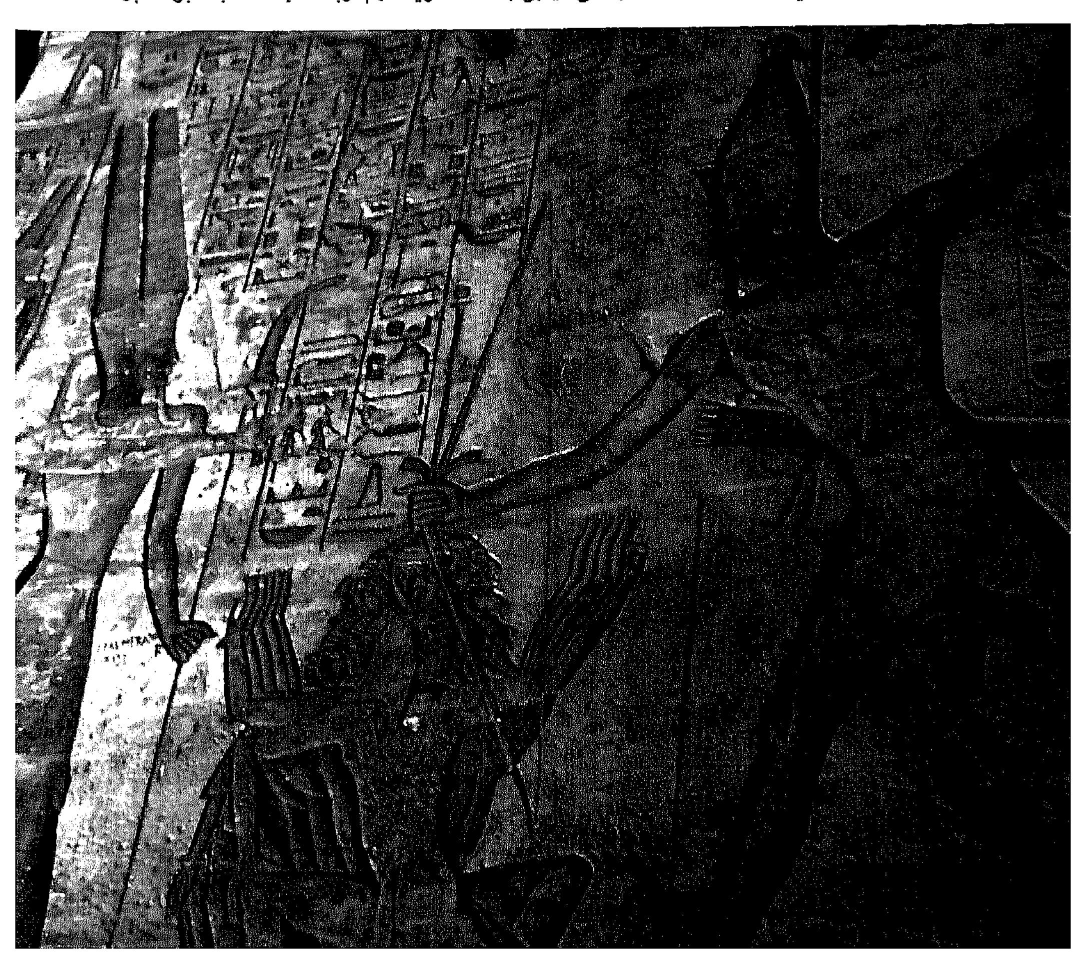
وتصف النصوص المصرية اصرار رمسيس الثاني على القتال والمقاومة وحيداً في حديث دار بينه وبين حامل درعه فيقول : "عندما رأى "منا" حامل درعى عربات العدو الكثيرة تحاصرنى أصفر لونه وتسمر مكانه رعباً وصاح في جلالتى :

"يا إلهى الطيب .. نحن نقف وحدنا أمام العدو وقد فر مشاتنا وعرباتنا وتركونا ! لماذا نبقى وننقذهم ؟! لنكن واضحين، انقذ نفسك وإياى يا "وسرع ماعت رع ". عندئذ قال جلالته لحامل درعه :

"قف مكانك واثبت يا حامل درعي، سأواجههم مثل منقار الصقر وسأعمل فيهم تقتيلاً وتذبيحاً وألقيهم أرضاً" .

وحفظت لنا الآثار نص مناداة رمسيس للإله "آمون" الذى قال فيه :

رمسيس الثاني يتلقى سكيناً من "آمون رع" ليذبح به الأعداء ويقدمهم قرباناً للإله - معبد "أبو سمبل".



"تحدث جلالته : ماهذا يا أبى آمون ؟!
أيحق للأب أن يتجاهل ولده ؟ !
هل انجازاتى من أجلك شئ ينسى ؟ !
ألم أتحرك وأسكن وفقاً لأمرك ؟
ولم أتجاهل أمراً أعطيته لى .
عظيم الحاكم الأعظم لأرض مصر .
أن يسمح للأجانب أن يسيروا على دربهم !
يا آمون من يكن هؤلاء الآسيويون بالنسبة لك .
التعساء الذين يجهلون الإله ؟!
ألم أشيد لك العديد من الآثار؟ !
(ألم) أملأ معابدك بأسلابى (بغنائمي) ؟!
(ألم) أشيد لك معبدي لملايين السنين ؟ !
(ألم) أقدم لك كل ثروتى كهدية ؟!
لقد أحضر ت لك كل (الأرض) كى أملأ مذابحك
وضحيت من أجلك بعشرة آلاف من الماشية
وكل أنواع الأعشاب حلوة الرائحة
لم أمسك عن أى صنيع حسن،
لقد شيد ت من أجلك الصروح العظيمة
ورفعت أعلامها بنفسى،
وأحضر ت من أجلك مسلات من أسوان
إنه أنا من جلب أحجارها،
وأرسلت من أجلك سفناً من البحر،
سيتردد ، أن النفع قليلاً لمن وضع نفسه رهن إرادتك
أحسن الصنع لمن اعتمد عليك
وعندها سيقوم على خدمتك بقلب محب
أناجيك ، يا أبى آمون
فأنا بين الأجانب
وكل البلاد قد احتشد ت ضدى
فأنا وحيد ، وليس معى أحد
هجرتنى قواتى الغفيرة
لا ينظر نحوى أحد من رجال العربات الحربية
سأظل أصوب السهام نيابة عنهم
إلا أنهم لم يستجيبوا لندائى

أدرك أن آمون يؤازرنى أكثر من مليون جندى
أكثر من مائة ألف عربة
أكثر من عشرة آلاف من الإخوة والأبناء
المتحدين على قلب رجل واحد
فآمون أكثر منهم عوناً
لقد أتيت إلى هنا نزولاً على أمرك
يا آمون لم أخالف أمرك !
الآن أبتهل وأصلى فى الأرض البعيدة
إن صوتى يتردد فى طيبة
وحينما دعوت آمون جاءنى
وأمد لى العون وسعدت بها
ونادى من بُعد كما لو كان قريباً
للأمام ، أنا معك
فأنا والدك ، ويدي معك
فأنا أفوق مائة ألف من الرجال
سيد الإنتصارات ، محب القوة(العنف)".

وفي اليوم التالى، حدثت مناوشات بين الفريقين لم يستطع أى منهما حسم الموقف لصالحه ، ووفقاً للنصوص المصرية فإن "موتاسيل" ملك الحيثيين أرسل رسله في طلب الهدنة ووقف القتال، وجمع رمسيس مستشاريه وعرض عليهم مقترحات الحيثيين ليستشف ما في صدورهم : "وقالوا فى نفس واحد : السلام شيء عظيم يعلو علي كل شئ، يا مولانا الملك، ولا يوجد من يعارض التسوية إذا أبرمتها أنت فمن ذا الذي يجرؤ على الوقوف في طريقك يوم غضبك".

فقبل "رمسيس الثاني" تلك الهدنة علي أمل العودة ثانية للاستيلاء على قادش، وتشير النصوص الحيثية والمصادر المصرية التى تصف سير المعركة إلى أن النصر لم يكن حليف رمسيس الثانى فى معركة قادش، بل انتصرعليهم فى المعركة الثانية، لذا لجأ رمسيس الثانى إلى تصوير المعركة على المعابد ليؤكد انتصاره فيها، فلابد للملك المصرى أن يحرز النصر على الأعداء كى يضمن ألوهيته.

الموقف في سوريا بعد معركة قادش

وما أن قفل رمسيس الثانى عائداً إلى أرض الوطن حتى أعلنت المدن السورية - الفلسطينية الثورة والعصيان على الحكم المصرى بل أخذ "موتاسيل" يستولى على المدن الواحدة تلو الأخرى وأهمهم قادش وأمورو، فخرج رمسيس الثاني في العام

السادس والسابع ليعيد الاستيلاء على عسقلان، ثم استولى في العام الثامن على منطقة الجليل ومدينة "دبور" في "أمورو"، وفي العام العاشر استولى على " تونب"، كما ذهب في حملة أخرى غير معروف تاريخها ليستولى على "مؤاب" شرق البحر الميت و"آدوم" شرق وادى عربة والنقب جنوب فلسطين وقد عثر على لوحة مؤرخة بالعام ١٨ من حكمه في بيسان.

دوافع إبرام معاهدة السلام بين مصر وخيتى

وقد ثبّتت هذه الحملات دعائم الحكم المصرى في سوريا وفلسطين، لكن هذا الصراع المستعر بين مصر وخيتى أرهق الجانبين وكلفهما الكثير، في الوقت الذي بزغت فيه قوة جديدة فتية ألا وهي قوة الآشوريين تحت زعامة ملكهم القوى "إداد نيريرى الأول" الذى قضى على بقايا دولة ميتانى شرق الفرات، وأصبح القوة التي تهدد الحيثيين.

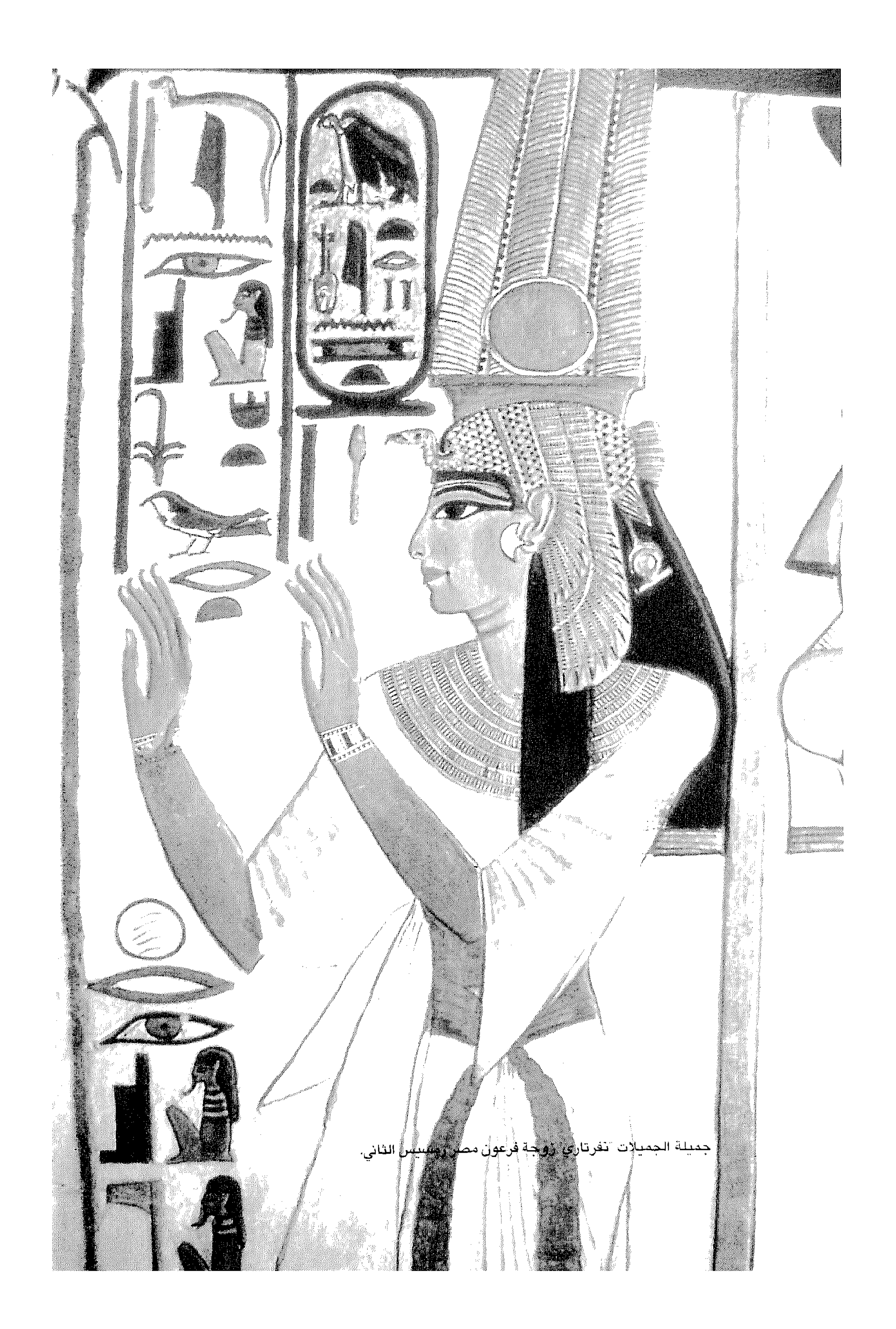
وفي الوقت ذاته كانت مصر تتعرض لهجمات شعوب البحر، وهنا أدرك الجانبان المصري والحيثي عدم جدوى الحرب بينهما وقررا عقد معاهدة سلام وتآخ بينهما. ففى العام الحادي والعشرين من حكم "رمسيس الثاني" وفد إلى مصر رسولان من ملك خيتى ومعهما لوحة من الفضة بها طلب السلام من جلالة "رمسيس الثانى". وضرورة استئناف العلاقات الودية بين البلدين وعدم نشوب الحروب والمناوشات بينهما وعقد معاهدة " صلح طيب وإخاء حسن " أفضل من معاهدة الصلح والاخاء السابقة على عهدي رمسيس الثانى وخاتوسيل الثالث.

وتقول نصوص المعاهدة :

انظر، إن خاتوسيل أمير خيتى العظيم، قد اتفق مع وسرماعت رع ستبنرع، حاكم مصر العظيم، على أنه بدءاً من هذا اليوم، سيسود بيننا السلام الطيب والأخوة إلى الأبد فهو في أخوة معي، وهو في السلام معي، وأنا في أخوة معه وأنا في سلام معه، إلى الأبد.

انظر، إن أمير خيتى العظيم، في سلام طيب وأخوة طيبة مع رمسيس مري آمون، وسيكون أبناء أبناء أمير خيتى العظيم في أخوة وسلام مع أبناء أبناء رمسيس مري آمون، حاكم مصر العظيم، لأنهم سيكونون على عهدنا للأخوة والسلام، وستكون أرض مصر وأرض خيتى في سلام وأخوة مثلنا إلى الأبد، ولن تنشب عداوة بينهما أبداً.

لن يغير أمير خيتى العظيم على أرض مصر للأبد، ليستولى على أي شئ منها ولن يغير وسرماعت رع ستبنرع، حاكم مصر العظيم على أرض خيتى، ليستولي على أي شئ منها للأبد.



جميلة الجميلات "نفرتاري" زوجة فرعون مصر رمسيس الثاني.

إذا ما تقدم عدو ضد أراضي وسرماعت رع . حاكم مصر العظيم ، وأرسل (ملك مصر) إلى أمير خيتى العظيم قائلاً : " تعال معى سنداً ضده". فإن أمير خيتى العظيم سيأتى إليه وسيذبح أمير خيتى العظيم أعداءه، وإذا لم تكن رغبة أمير خيتى أن يأتى بنفسه، فإنه سيرسل مشاته وعرباته ليذبح أعداءه، وإذا ما غضب رمسيس مري آمون، حاكم مصر العظيم، على موالٍ له باغضابه. وذهب لضربهم. فإن أمير خيتى العظيم سينضم إليه لضرب كل واحد يغضب عليه.

" إن كلمات هذه المعاهدة التى عقدها أمير خيتى العظيم مع رمسيس مري آمون، حاكم مصر العظيم، وسجلت كتابةً على لوحة الفضة هذه يشهد عليها ألف من آلهة أرض خيتى وإلهاتها وألف من آلهة أرض مصر وإلهاتها.

وتعتبر هذه المعاهدة من أولى معاهدات السلام المدونة تدويناً كاملاً فى التاريخ. لقد حفظ المصريون ذكرى هذا الملك العظيم في قلوبهم مثلما حفظت الأرض آثاره وتماثيله، فرفعه رواة قصص التراث الشعبي في مصر القديمة إلى مصاف البطل الأسطورى والمثل الأعلى لكل خلفائه من الملوك، الذين حرصوا على التشبه به وكان أكثرهم الملك "رمسيس الثالث" أعظم ملوك الأسرة العشرين التي ضمت ملوكاً تسموا جميعاً باسم رمسيس من الثالث حتى الحادى عشر.

أما رمسيس الثالث فقد اعتبر رمسيس الثاني بطله المقدس، فأخذ لنفسه جميع ألقابه بل أطلق على أبنائه أسماء أبناء "رمسيس الثاني"، وشيد حياً جديداً في العاصمة "بر رعمسسو" بالدلتا وبنى معبده في مدينة هابو على طراز معبد الرامسيوم ، بل أضاف إلى هذا المعبد هيكلاً خاصاً لعبادة "رمسيس الثاني". وتضرع رمسيس الرابع للآلهة أملاً في أن تمد فى ملكه ستة وستين عاماً مثل رمسيس الثاني، ثم تلقب الملك بوسنس الأول أحد ملوك الأسرة الحادية و العشرين بلقب "رمسيس بوسنس"، وأصبح اللقب "وسر ماعت رع" عنصراً أساسياً فى تركيبة أسماء العديد من ملوك الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، وتفاخر أمراء وكبار رجال الدولة بإتخاذهم اللقب الرفيع "ابن الملك ابن رمسيس" .

زوجات رمسيس الثاني وأبناؤه

عقب اختياره وريثاً لعرش البلاد، تزوج رمسيس الثاني من نفرتاري وإيست نفرت، اللتين أنجبتا له عدداً كبيراً من الأبناء، كانوا خير عون وسنداً له في حكم البلاد، فانجبت له الملكة نفرتاري أكبر أبنائه الأمير آمون حرونمف الذى تغير اسمه إلى آمون حرخبشف، وبرى حرونمف، ومنتوحرخبشف، ومرى آتون، وست حرخبشف، وبنتين هما مريت آمون، ومريت آتون.

أما أبناء الزوجة إيست نفرت، فمنهم الأمير رمسيس، وخع إم واست، ومرنبتاح ،

والابنة بنت عنات.
ولقد حفظ لنا التاريخ الدور الفعال والمؤثر في حياة رمسيس لهؤلاء الأبناء ومن قبلهم جميعاً والدتاهم : نفرتاري و إيست نفرت.
وتحدثنا آثار الملكة نفرتاري أنها كانت سيدة بالغة الرقة والرشاقة والجمال. وبالرغم من أن أصولها الملكية غير مؤكدة، فقد كانت بلاشك الزوجة الرئيسية التى تظهر مع الملك فى الاحتفالات العامة والرسمية والدينية، ولاصقت تماثيلها تماثيل زوجها خلال العشرين سنة الأولى من حكمه، وحفر لها مقبرة فى وادى الملكات هى الأجمل والأروع بين مقابره.
وجمعت نفرتاري في ألقابها العديدة بين الرسمي من الألقاب والمعبر عن إعزاز الملك وحبه لها، فكانت نفرتاري "سيدة الصعيد والدلتا"، و"سيدة كل الأراضي"، و"عظيمة المديح"، و"جميلة المحيا" ، و"ربة الفتنة"، و"حلوة الحب".

"نفرتاري" زوجة رمسيس الثاني الرئيسية.

وبلغ حبه الشديد لنفرتاري أن شيد لها معبداً منحوتاً في الصخر إلى جوار معبده العظيم في "أبو سمبل" وصُورت نفرتاري في معبدها على هيئة المعبودة حتحور، وأقيمت لها التماثيل الضخمة إلى جوار تمثال رمسيس الثانى وسجلت عليها نصوص هيروغليفية نصها :

"بنى رمسيس معبداً نُحت في الجبل، ليبقى راسخاً إلى الأبد، من أجل الملكة نفرتاري محبوبة "موت" في النوبة، نفرتاري التي تشرق الشمس نفسها من أجلها".
ولعل حضورها عقد الصلح والتوقيع على معاهدة السلام مع الحيثيين، دليل قوي على مكانتها العظيمة في قلب رمسيس الثاني، بل كانت ضمن من تبادلوا التهاني في

البلاطين المتسالمين.

وشهد القصر الملكى تنافساً شديداً بين نفرتاري وإيست نفرت على قلب الملك رمسيس، لكن استئثار نفرتاري بقلب رمسيس الثاني، جعل الملكة إيست نفرت تفضل الانزواء في الظل إلى أن عادت إلى الظهور مرة أخرى على نصب صخري في أسوان وصفها بأنها كبرى الملكات ومعها ابنتها بنت عنات وأولادها رمسيس. وخع إم واست ، ومرنبتاح، ثم ظهرت على نصب تذكارى آخر مع ابنتها في خدمة الملك رمسيس وأمامه الأمير خع إم واست.

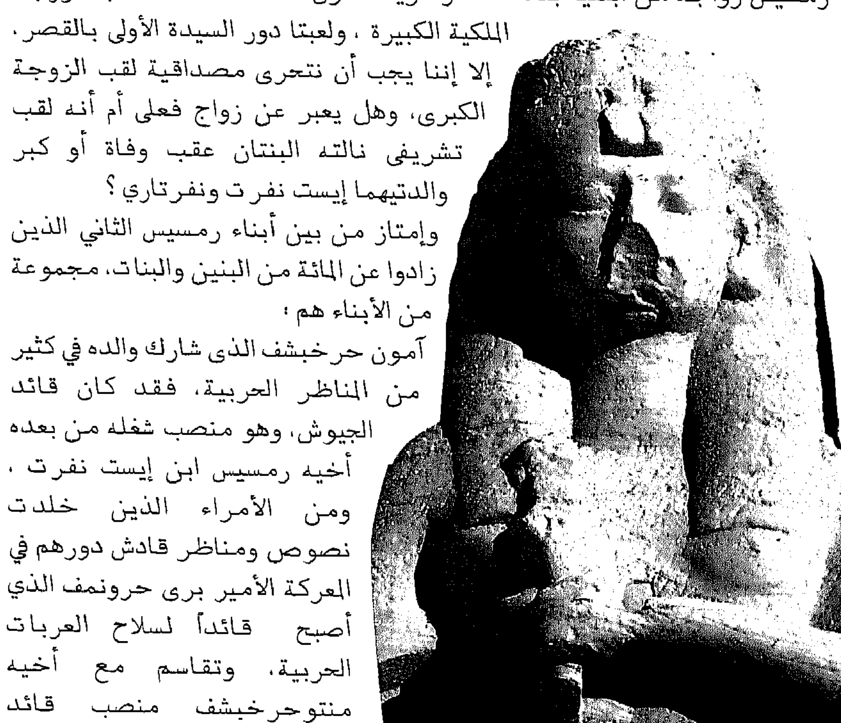
ويبدو أنها توفيت في العام الرابع والثلاثين من حكم الملك "رمسيس الثاني" ودُفنت بوادي الملكات، ولم يكشف عن مقبرتها إلى الآن .

أما زوجات رمسيس الأخريات فتتقدمهن الملكة "حنت مي رع". وهى أخته الكبرى من أبيه الملك سيتى الأول، وكان هذا الزواج توطيداً للعرف الملكي الذي يقتضي الحفاظ على الدم الملكى، وكانت هامشية الدور، قليلة الاشتراك في المناسبات العامة، بالإضافة إلى زوجات أخريات كن يعشن في قصور الحريم، وينسب إلى الملك رمسيس زواجه من ابنتيه بنت عنات و مريت آمون فكلتاهما حملت لقب الزوجة الملكية الكبيرة ، ولعبتا دور السيدة الأولى بالقصر.

إلا إننا يجب أن نتحرى مصداقية لقب الزوجة الكبرى، وهل يعبر عن زواج فعلى أم أنه لقب تشريفى نالته البنتان عقب وفاة أو كبر والدتيهما إيست نفرت ونفرتاري ؟

وإمتاز من بين أبناء رمسيس الثاني الذين زادوا عن المائة من البنين والبنات، مجموعة من الأبناء هم :

آمون حرخبشف الذى شارك والده في كثير من المناظر الحربية، فقد كان قائد الجيوش، وهو منصب شغله من بعده أخيه رمسيس ابن إيست نفرت ، ومن الأمراء الذين خلدت نصوص ومناظر قادش دورهم في المعركة الأمير برى حرونمف الذي أصبح قائداً لسلاح العربات الحربية، وتقاسم مع أخيه منتوحرخبشف منصب قائد عربات الملك.



"نفرتاري" في رداء الإلهة حتحور.

وانتقلت ولاية العهد بين أبنائه الأربعة عشر الكبار. فكانت في يد أكبر أبنائه آمون حرخبشف الذي اختفت ذكراه منذ العام العشرين من حكم أبيه ، وربما توفى قبله أخواه برى حرونمف، وسيتى مرى رع. ولم يبق من أبناء نفرتاري سوى مري آتون وست حرخبشف، فاختار رمسيس ابنه ست حرخبشف لولاية العهد وكان كاهناً لعبادة أبيه (الفرعون الإله)، ووزيراً لشمال مصر. وتبادل ست حرخبشف التهاني مع البلاط الحيثي عقب توقيع معاهدة السلام.

وانتقلت بعد ذلك مناصب الدولة العليا إلى أبناء الملكة إيست نفر ت، فأصبح الأمير رمسيس هو ولي العهد. ثم تولى بعده أخوه خع إم واست ولاية العهد في الخمسين من حكم أبيه إلى أن استقرت ولاية العهد في يد الأمير مرنبتاح الذي قُدر له أن يخلف أباه على عرش مصر.

ولعل من الجدير بالذكر أن الأمير الثالث والعشرين، سي مونتو. الذي كان مسؤولاً عن مزارع كروم الملك بالقرب من منف، تزوج من فتاة سورية كان والدها، إين عنات، قبطاناً لسفينة تجارية . فقد كان ميناء مدينة منف أكثر الموانى المصرية تلقياً للسفن والرحلات البحرية والنيلية، وعاشت الزوجة السورية في كنف الأمير بمصر إلى نهاية عمرها ويحتمل أنها دفنت في جبانة طيبة.

ولكثرة أبناء رمسيس الثاني، فمن الطبيعي أن يكون بينهم من لم يسعده الحظ بخلقة مكتملة، كالأمير رمسيس نب وبن، الذى كان أحدباً وربما كان هذا من بين الأسباب التى أدت إلى وفاته مبكراً في الثلاثين من عمره.

الأمير خع إم واست

ومن بين أبناء رمسيس الثاني، الأمير خع إم واست ، الذى كان رابع أبناء رمسيس وثانى أبناء الملكة إيست نفرت، ورافق أباه فى حملة ثانوية إلى النوبة، إلا أن حياة الجيش والجندية والحرب لم تلق فى نفسه قبولاً. لذا أتقن منذ الصغر فنون القراءة والكتابة وتبحر في أمور العقيدة والسحر، بصفة دائمة في منف، مدينة بتاح إله الصناعة والفنون.

وأهم ما يذكر عن خع إم واست أنه رائد علم المصريات والترميم فى العالم أجمع، فهو العالم الذى طاف بمواقع الآثار في مصر كلها ، وأجرى ترميماته في هرم زوسر المدرج ومقبرة شبسسكاف وهرم الملك ونيس بسقارة، ثم إتجه إلى ما تهدم من هرم ساحورع، ومعبد الشمس الخاص بالملك "ني وسررع" وترك نقشاً على هرم خوفو بالجيزة، وكان حريصاً على تسجيل اسم صاحب الأثر على أثره عقب إنتهاء أعمال الترميم بالأثر معلناً :

"إن كبير كهنة بتاح، الأمير خع إم واست هو الذى خلّد ذكرى الملك . . . (صاحب

الأثر) ولم يكن اسمه إلى الآن منقوشاً على هرمه . تملأ الأمير خع إم واست الرغبة في ترميم آثار ملوك مصر العليا والسفلى التي تدهورت".

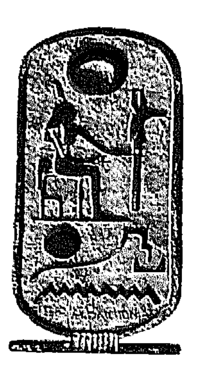
ولم تقتصر أعمال خع إم واست على الترميمات فحسب، بل تخطاها لمرحلة ابتكار نمطاً جديداً لمدافن العجل أبيس (الرمز المقدس لروح الإله بتاح) فبعد أن كان العجل يدفن فى مقابر يعلوها هيكل صغير فوق الأرض. أمر خع إم واست بشق نفق أو سرداب طويل، تحفر على جانبيه غرف لدفن العجل المقدس، وبذلك يمكن عمل صفين من الحجرات المتتابعة على جدران النفق . ثم شيد معبداً لأبيس.

لقد كان خع إم واست متعدد المواهب، خبيراً بالإدارة خصوصاً ما يتعلق بإدارة معبد الإله بتاح وأوقافه، ورئيساً للجنة الإعداد لاحتفالات يوبيل الملك رمسيس الثاني.

وبعد أربعين عاماً من الخدمة العامة، وقرب نهاية الخمسين من عمره. توفى خع إم واست، وجرت مراسيم دفنه في قبر كان قد أعده لنفسه داخل السرابيوم.

ولقد نال مرنبتاح شقيق خع إم واست من الشهرة نصيباً كبيراً، فكان خليفته في ولاية العهد، وأصبح الساعد الأيمن لوالده في إدارة البلاد. وأشرف على دفن عجول أبيس عقب وفاة أخيه خع إم واست، وتلقب بالأمير الوراثى ورئيس الأمراء وأكبر أبناء الملك، وعندما رحل رمسيس الثاني خلفه على العرش ابنه مرنبتاح.

وقد أعيد كشف مقبرة تعرف باسم مقبرة أولاد رمسيس الثاني في وادي الملوك. تقابل مقبرة رمسيس الثاني وعثر بداخلها على تماثيل لأوزير بالإضافة إلى مقاصير عديدة وسراديب، ويعتقد أن هذه المقبرة بناها رمسيس الثانى لأسرته كمقبرة رمزية.



رمسيس الثاني
الفرعون الإله

اعتقد المصري القديم اعتقاداً لا يتزعزع في قدسية الملكية وأن الملك نائب عن الآلهة ووسيط بينهم وبين البشر، وتذكر الأسطورة أن رع ظل يحكم الأرض حتى تقدم به العمر وأصبح شيخاً مسناً، وبدأ البشر يسخرون منه فارتقى إلى السماء وأرسل ابنته حتحور للانتقام له، وترك على الأرض الإله أوزير كوريث له يحكم البشر، لكن أخاه ست قتله ليبدأ الصراع بينه وبين حورس ابن أوزير، وفي النهاية ارتقى حورس العرش كوريث شرعي لأوزير وخلفه على العرش "اتباع حورس". ومن هنا جاءت الملكية المقدسة، فمنصب الملك يحمل صفات الآلهة، فالملك هو التجسيد المادي لحورس على الأرض، وهو ابن الإله رع، وبالتالي فإن للملك طبيعة مزدوجة فهو على الأرض ملك من البشر ، وبعد موته إله له حق الانضمام إلى صفوف الآلهة في العالم الآخر وتقام له الشعائر في معبده الجنائزي لملايين السنين.

وفي الدولة الحديثة، قويت شوكة "آمون" حتى تحول من مجرد إله محلي إلى إله كوني، وأصبح كهنوته له دور فعال في شؤون السياسة سواء الداخلية أو الخارجية، وتسابق الملوك الواحد تلو الآخر في إرضاء "آمون" وكهنته وتعمير معابده وموائد قرابينه، وعلى الرغم من ذلك لم يهمل هؤلاء الملوك العناية بمعابد الآلهة الأخرى لا سيما رع وبتاح بل وابتداع عادة لم تكن معروفة من قبل وهي تأليه بعض الملوك لأنفسهم خلال حياتهم وبالتالي إقامة هؤلاء الملوك لأنفسهم المعابد الإلهية لعبادتهم وتقديمهم القرابين لهم والتوجه إليهم بالدعاء.

وكان سبيلهم إلى ذلك :

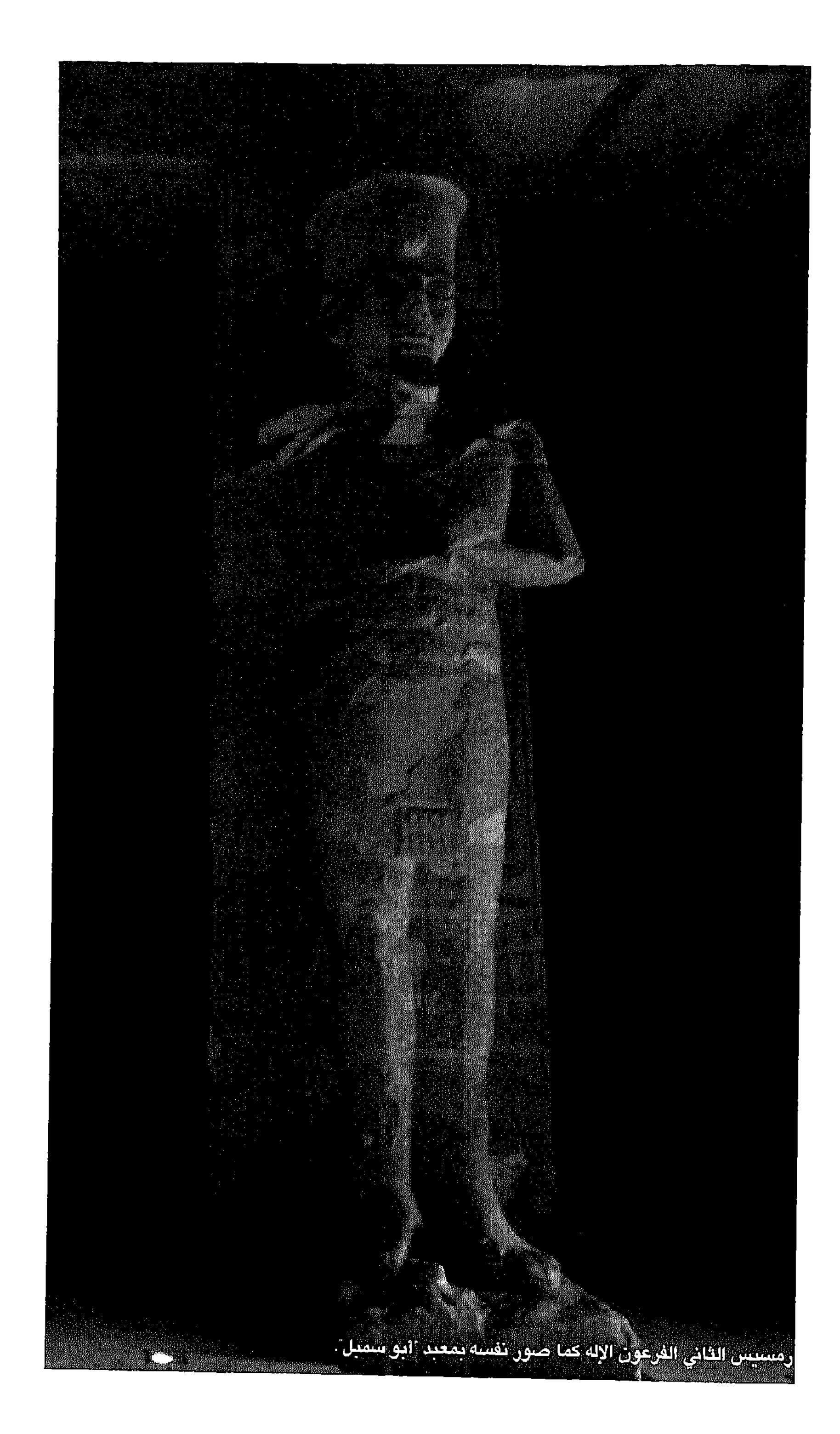
١- بناء المعابد العظيمة في النوبة ومصر وتكريسها لعبادة للملك الحي.

٢- ربط عبادة الآلهة الأخرى بعبادة الملك في تلك المعابد.

٣- وضع تماثيل عملاقة أمام معابد الآلهة وحول أفنيتها وحمل الأسماء والألقاب التي تثبت تجسيدهم للآلهة، فلقد نعت الملك "أمنحتب الثالث" نفسه في الكرنك بـ "نب ماعت رع مونتو هذا تمثال إله الحرب" وبعبارة أخرى أصبح تجسيداً حياً للإله "مونتو".

وكي يصبح الملك إلهاً عليه تنفيذ كل التعاليم الإلهية المعطاة له من قبل الآلهة عند ارتقائه عرش مصر وعلى رأس تلك التعاليم :

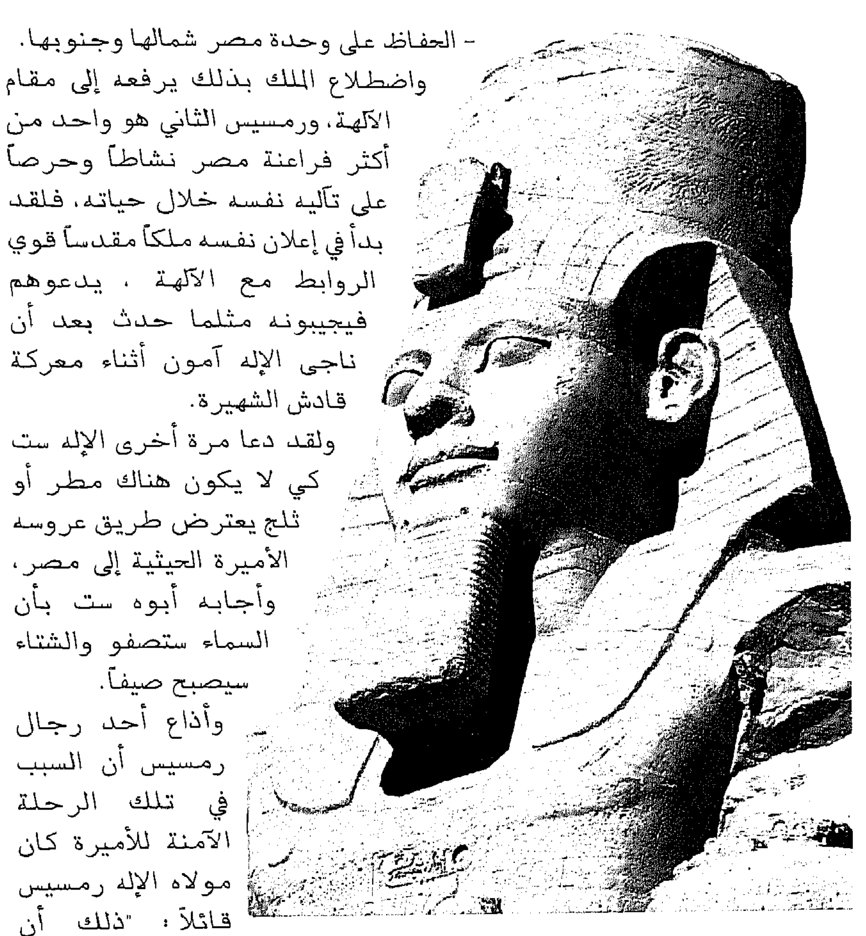
- بناء مقبرة لنفسه.
- بناء معابد للآلهة.
- هزيمة أعداء مصر.


رمسيس الثاني الفرعون الإله كما صور نفسه بمعبد "أبو سمبل".

- الحفاظ على وحدة مصر شمالها وجنوبها.

واضطلاع الملك بذلك يرفعه إلى مقام الآلهة، ورمسيس الثاني هو واحد من أكثر فراعنة مصر نشاطاً وحرصاً على تآليه نفسه خلال حياته، فلقد بدأ في إعلان نفسه ملكاً مقدساً قوي الروابط مع الآلهة ، يدعوهم فيجيبونه مثلما حدث بعد أن ناجى الإله آمون أثناء معركة قادش الشهيرة.

ولقد دعا مرة أخرى الإله ست كي لا يكون هناك مطر أو ثلج يعترض طريق عروسه الأميرة الحيثية إلى مصر، وأجابه أبوه ست بأن السماء ستصفو والشتاء سيصبح صيفاً.



رمسيس الثاني مهابة الملكية المؤلهة - معبد "أبو سمبل".

وأذاع أحد رجال رمسيس أن السبب في تلك الرحلة الآمنة للأميرة كان مولاه الإله رمسيس قائلاً : "ذلك أن السماء تحت مشيئته، تعمل وفق إرادته".

وعندما أرسل رمسيس الثاني بعثة للمناجم إلى تلال النوبة البعيدة في الصحراء الشرقية لإستخراج الذهب، واجهتهم صعاب جمة نتيجة ندرة المياه في تلك المناطق حيث قيل أن أحد الملوك السابقين لم يستطع الحصول علي الذهب من تلك المناطق. ولقد خطط رمسيس الثاني لحفر عدد من الآبار على طول الطريق المؤدي إلى مناجم الذهب للحصول على الماء الكافي لهذه البعثة. وجاء رجال بلاطه إليه قائلين : "إنك مثل رع في كل ما تفعل. كل ما يرغبه قلبك يحدث فإذا ما رغبت في شئ أثناء الليل، بزغ الفجر ليحقق لك ما شئت. إذا ما أمرت المياه بأن تفيض من الجبال فسوف تفعل، وأنت رع. . . ولقد كانت هذه الأرض تفتقر إلى المياه منذ بداية الزمن والناس هناك يموتون عطشاً لكنك أخبرت أباك، إله النيل "دع المياه

تفيض من الجبل، "ولسوف يفعل ما أردت".

ولقد عزّز رمسيس الثاني موقفه الإلهي ببناء العديد من المعابد التى عُبد فيها كصورة لآلهة مختلفة؛ وربط بين معبده الجنائزي الرامسيوم، وبين معبد الإله آمون، وعبد في الرامسيوم بوصفه آمون ونعت نفسه بـ "آمون الذي يعيش في الرامسيوم"، كما ربط نفسه في معبد أبيدوس بالإله أوزير، ووصف معبد "أبوسمبل" رامسيوم النوبة - بأنه "معبد ملايين السنين الذي حفر في الجبل".

وأذاع رمسيس ورجاله أن معبد "أبوسمبل" شُيد بإيعاز من رع وآمون لكن العبادة في المعبد كانت أقرب ما تكون إلى "رع" و"رمسيس" بوصفه أحد صور "رع"؛ ويعد هذا المعبد أعظم إنجازات رمسيس الثاني في مجال التشييد؛ وعُبد فيه بوصفه إلهاً للشمس وبنى أيضاً معبدين آخرين في وادي السبوعة؛ كرس أحدهما لعبادة آمون والآخر لعبادة بتاح. وعلى هذا فإن الآلهة الثلاثة للإمبراطورية المصرية في عهد رميسس الثاني، آمون، ورع، وبتاح كانت جميعها تجسيداً له.

وإلى جانب انشاء مثل هذه المعابد، فإن تماثيل رائعة لرمسيس نحتت في كل مكان بمصر، تعبر عن مساواته بالآلهة. ففي منطقة إبشك بالنوبة أقيم تمثال ضخم كرسه هو نفسه إلى "رمسيس، الإله العظيم، إله النوبة".

ولقد ضاقت عاصمته بررعمسسو بتماثيله التي وصفته بأنه "مونتو في الأرضين (الصعيد والدلتا)" و "الإله" و "المشرق بين الآلهة" و "محبوب آتوم" و "شمس الملوك" و"ملك الملوك".

ووصف رمسيس الثاني نفسه أنه روح الإله العظيم "رع حور آختي"، ومعظم هذه التماثيل كانت تقام أمام واجهات المعابد كي يراها الجميع.

وتحدث أحد كتّاب بر رعمسسو قائلاً:

"بني جلالته بنفسه مدينة تدعي مدينة الانتصارات العظيمة بين سوريا ومصر غنية بالطعام والموارد مثل طيبة، خالدة كمنف تشرق الشمس في سمائها وتغرب عند أفقها، ترك الجميع مدنهم واستقروا بها".

وأصبحت هذه المدينة مفعمة بالنشاط والحركة، واتحد المصريون والأجانب لتجميلها وتزيين أعيادها التي لم يكن لها عناية. وغمرت السعادة قلوب قاطنيها من شدة جمالها وروعة حدائقها حتى تغنوا بالجمال وأنشدوا قصائد الحب التي تعتبر من ذخائر الأدب المصري القديم وأنشد أحدهم قائلاً :-

"إنها . . . لا مثيل لها
أعظم نعمة للبشر
أنظر ، إنها مثل الزهرة الوليدة
عام سعيد في شبابك

جمالها أخاذ، صدرها مشرق
عيونها رائعة عندما تتطلع إليك
معسولة شفتيها عندما تتحدث
لا تقول أبداً ذلك لا قيمة له
طويل عنقها ، ناعم صدرها
مشرق شعرها الأسود
ذراعاها أجمل من الذهب
أناملها طويلة وغضة مثل النبات
رائعة كالزهور
كم هو دقيق خصرها
فخذاها رمز جمالها
رشيقة حركتها عندما تخطو
لقد غزت قلبي وروحي
لوي كل الرجال أعناقهم تجاهها
عند رؤيتها يرى المرء الرحمة نفسها".

وفي قصيدة أخرى تعترف الفتاة بحبها فتنشد :-

"قلبي قيثارة في يديك :أخي
أنا في غيبوبة ، حبك أدار رأسي".

وتستمر في الشكوى من قلبها حيث لم تعد قادرةً على السيطرة عليه قائلةً :-

"قلبي يختلج بشدة عند التفكير بحبك".

وعند الحديث عن الحب وتأثيره على القلب تقول :-

"قلبي لم يعد يعزف موسيقى".

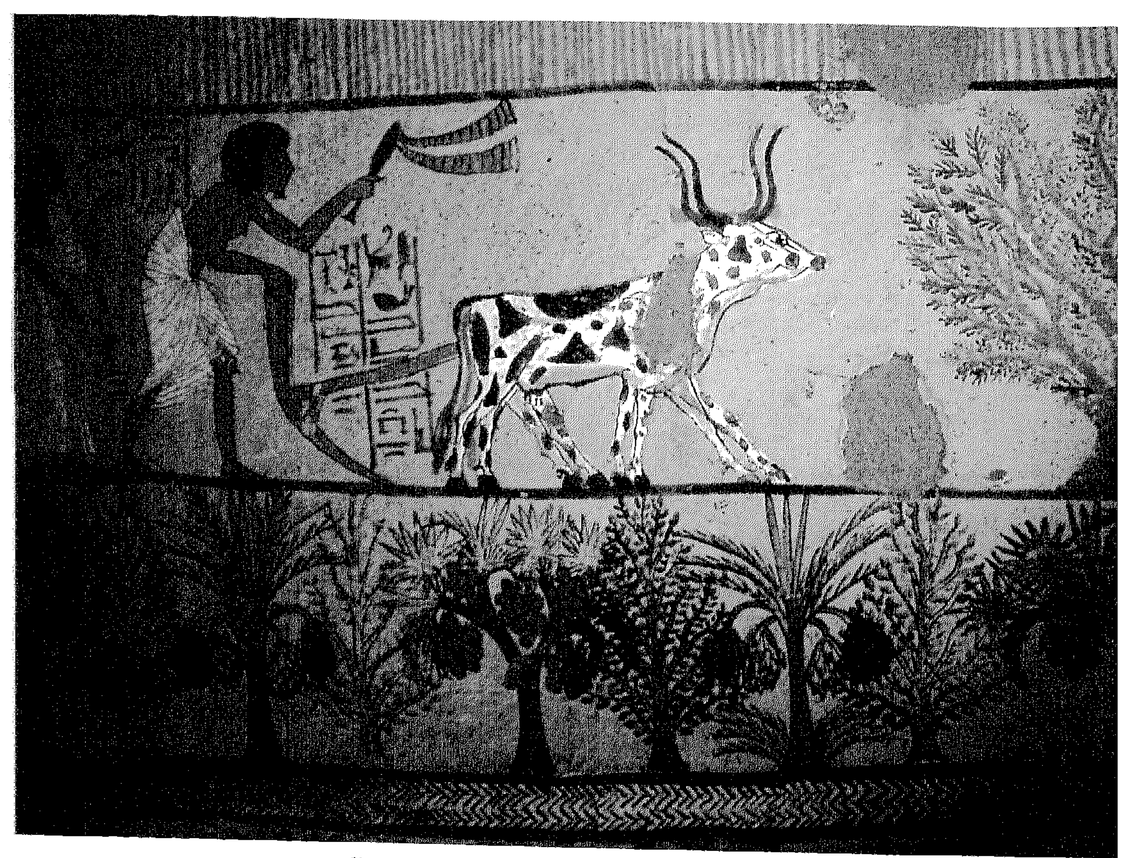
ويعاني الشاب كما تعاني الفتاة بسبب الحب، فينشد :-

"سبعة أيام مرت ولم أر حبيبتي
السعادة فارقتني
جسدي سقيم وأنا لا أعتني به
وعندما أتى الأطباء إلي
لم يتقبل قلبي دواءهم
لم يعد لي دواء عند السحرة
دائي أعرفه جيداً
اسمها وحده سينعشني
رسائلها ستعيد الحياة إلى قلبي
حبي هو دوائي الوحيد

إنها أعظم من أي طبيب
هؤلاء الذين يرونها سيتماثلون للشفاء في الحال".

وفي أنشودة أخرى يشتكي الشاب من حبيبته وتلاعبها بقلبه ومشاعره، فينشد قائلاً :

"سوف ألزم الفراش
ولسوف أدعي المرض من سوء ما حدث لي
وسيأتي الجيران لرؤيتي
وستأتي حبيبتي بالطبع معهم
وستشعر المداوون بالخجل
لأنها وحدها تعرف دائي".



سنجم وزوجته يعملان في حقول "أيارو" جنة العالم الآخر - مقبرة سنجم بدير المدينة.

الحياة اليومية في عصر الرعامسة
مجتمع دير المدينة

يعتمد الأثريون علي ما رسم أو نقش على جدران المقابر وذلك في محاولاتهم رسم صورة لما كانت عليه الحياة اليومية في مصر القديمة بنشاطاتها المختلفة مثل الزراعة، والصناعة، والتجارة، وغيرها من مناحي الحياة كالرقص والغناء والأنشطة الرياضية سواء البدنية أو الذهنية.

وعلى الرغم من أنه ليس من السهل رسم تلك الصورة التي كانت عليها الحياة اليومية في عصر الرعامسة ؛ لأن مناظر الحياة اليومية التي كانت تُسجل على جدران المقابر الخاصة قبل عصر الرعامسة اُستبدلت في ذلك العصر بمناظر تصور



مقابر العمال والفنانين بدير المدينة.

الحياة بعد الموت ومصير المتوفى وعلاقته بالآلهة لا سيما صلواته لإله الشمس "رع" ليس هذا فقط بل إن مناظر الزراعة المصورة في مقبرة "سن نجم" بدير المدينة لا تصور أي نشاط له علاقة بالحياة اليومية وإنما تصور المتوفى وزوجته وهما يزرعان ويحصدان في حقول الإيارو (جنة الأبرار) التي سيمنحهما إياها أوزير إله الموتى بعد أن تتم محاكمتهما.

وعلى الرغم من ذلك ، فلقد وجد الأثريون ما يحتاجونه في قرية "دير المدينة" : تلك القرية التي استقر بها الفنانون من مختلف الطوائف نحاتين ورسامين. بالإضافة إلى المهنيين من نجارين وحدادين، إلى جانب رؤوساء العمل والمشرفين والكتبة، هذا المجتمع المتميز هو الذي أبدع لنا تلك الأعمال الفنية الخالدة في طيبة لا سيما مقابر الملوك بوادي الملوك ومقابر الأشراف ؛ إلى جانب المعابد الجنائزية لملوك الأسرتين الثامنة عشر والتاسعة عشر.

و كانت إدارة القرية من إختصاصات الوزير، وأمدتها الحكومة بكل ما تحتاجه لإعاشة سكانها من طعام وشراب وملابس.

ويعتبر علماء الآثار قرية "دير المدينة" منجماً غنياً ؛ لكثرة قطع الشقف (كسر الفخار) المنقوشة والمكتوبة بواسطة العمال والفنانين، إضافة إلى اللوحات الحجرية المنقوشة التي سجلت عليها تفاصيل حياة ذلك المجتمع بأحزانه وأفراحه.

ويرجع تأسيس ذلك المجتمع العمالي إلى عهد الملك "أمنحوتب الأول" الذي عبده وأمه الملكة أحمس نفرتاري، أولئك العمال الذين اعتبروه وأمه من الآلهة الحامية لمجتمعهم وقد نقش اسمه على أحجار السور الخارجي للقرية.

وتقع "دير المدينة" في الصحراء، في الجنوب، بين وادي الملكات في الغرب ومعبد الرامسيوم في الشرق. وأطلق عليها "ست ماعت" أو "مكان الحق" وسكانها هم المعروفون بأنهم هم أولئك الذين يعملون في مكان الحق. وكان فريق العمال يقسم إلى مجموعتين مجموعة اليمنة ومجموعة اليسرة، ولكل مجموعة رئيس عمال يعرف بـ "المشرف على الإنشاءات في المكان العظيم". ومع وجود اثنين من الرؤساء لعدم تركيز السلطة في يد واحدة، كان لابد من وجود مشاحنات ومنازعات. ومن أشهر المنازعات التي سجلت بين رؤساء العمال في "دير المدينة" ما حدث بين بانب وحاي حيث هدد الأول الأخير بالقتل قائلاً له : "سوف أنتظرك في الجبل لأقتلك".

وكان اختيار رؤساء العمل يتم بواسطة الفرعون ويعينون من قبل الوزير.

وفي بداية الأمر، كان رئيس العمال ينتخب لمؤهلاته وقدراته الشخصية التي تؤهله لشغل هذا المنصب المهم، لكن شغل هذا المنصب أصبح وراثياً في عصر الرعامسة، وكان باشد رئيس فريق اليسرة، ومن بعده باكي وقاعا الذي كان ابن رئيس النجارين وربما زوج ابنة باكي. وتولت أسرته شغل هذا المنصب حتى نهاية الأسرة العشرين باستثناء فترات قصيرة.

أما بالنسبة لمجموعة اليمنة. فلقد تولى رئاستها أفراد أسرة واحدة ؛ فتولى نفر حتب المنصب أثناء حكم كل من حور محب وسيتي الأول ورمسيس الثاني، وتبعه ابنه نفرحتب الذي ظل يشغل المنصب خلال حكم كل من مرنبتاح وحتى سيتي الثاني. ونالت القرية غاية الاهتمام خلال عهد رمسيس الثاني، فشهدت أوج عظمتها ورفاهيتها علي أيامه . إلا أن كل ذلك قد تضاءل وقل بناء المقابر الجديدة بعد أيام رمسيس الثاني. حيث بدأوا في دفن موتاهم في مقابر آبائهم التي تحولت إلى مقابر عائلية. كما أصبح من النادر نحت اللوحات الحجرية. حتى أن العمال هجروا قريتهم في عهد رمسيس الحادي عشر وأقاموا في المنطقة المجاورة لمعبد الملك رمسيس الثالث بمدينة هابو.

وتعد اللوحات الحجرية والجدارية بـ"دير المدينة" مصدراً مهماً لدراسة حياة ذلك المجتمع اليومية ، وكذا قطع الاوستراكا العديدة التى ارتبط بعضها بالمنازعات القضائية بين سكان القرية . وبعض منها خاص بالمراسلات الشخصية بين السكان في حين ضمت قطع أخرى، الوصايا التي تركها بعض من أفراد القرية قبل موتهم. ولم تخل ثالثة من تلك السخريات التي سخر فيها العمال من رؤوسائهم.

وكان التبني من الأمور الشائعة في القرية ، ولعل أشهر حالات التبني هي تلك التي تبني فيها رئيس العمال "نفرحتب" ذلك الطفل المدعو "بانب"، وحين كبر "بانب" أصبح رئيساً للعمال إلا أنه لم يكن باراً بوالديه بالتبني، وتعرضت إحدى قطع الأوستراكا لتهديد وجهّه "بانب" لوالده بالتبني "نفرحتب" ؛ إذ توعده بالقتل وقيل إنه طارد رئيس العمال "نفرحتب" الذي رباه. وأغلق "نفرحتب بابه إلا أن "بانب" التقت حجراً وحطم الأبواب. ولقد أعتني أهل القرية بـ"نفر حتب" ؛ إذ أن "بانب" كان يهدده بالقتل ليلاً. ويبدو أن "بانب" كان دائم التهديد بالقتل لكل من يخالفه الرأى. إذ هدد رئيس العمال "حاي" بالقتل كذلك.

وحين أصدر الوزير عقوبة التهديد بالقتل علي "بانب" رفع قرار هذه العقوبة إلي الفرعون هنا اعترض "بانب" علي هذه العقوبة مما جعل الوزير يقف شارحاً أسباب هذه العقوبة.

وحين أدرك "نفرحتب" وزوجته "نب خت" فشلهما مع "بانب" تبني عبداً صغيراً يدعي "خنسو تيف" الذي تزوج فتاة لعلها من عائلة "نفرحتب" وكان "خنسو تيف" ولداً باراً، إذ أطلق اسمي والديه بالتبني علي اثنين من أبنائه، وخلد ذكراهما علي لوحة حجرية وقدم لهما القرابين والأضاحي.

واشتهرت من عهد رمسيس الثاني حالات أخرى، منها حالة كاتب الحسابات "رع مس" وزوجته "موت إم ويا" اللذين تقدما بصلواتهما وأدعيتهما للمعبودة حتحور ربة الخصوبة وقدما لها عضواً ذكرياً كتب عليه ما يلي :

"يا حتحور، تذكري المرء في دفنته، وامنحيه حياة أبدية في منزلك تعويضاً لكاتب



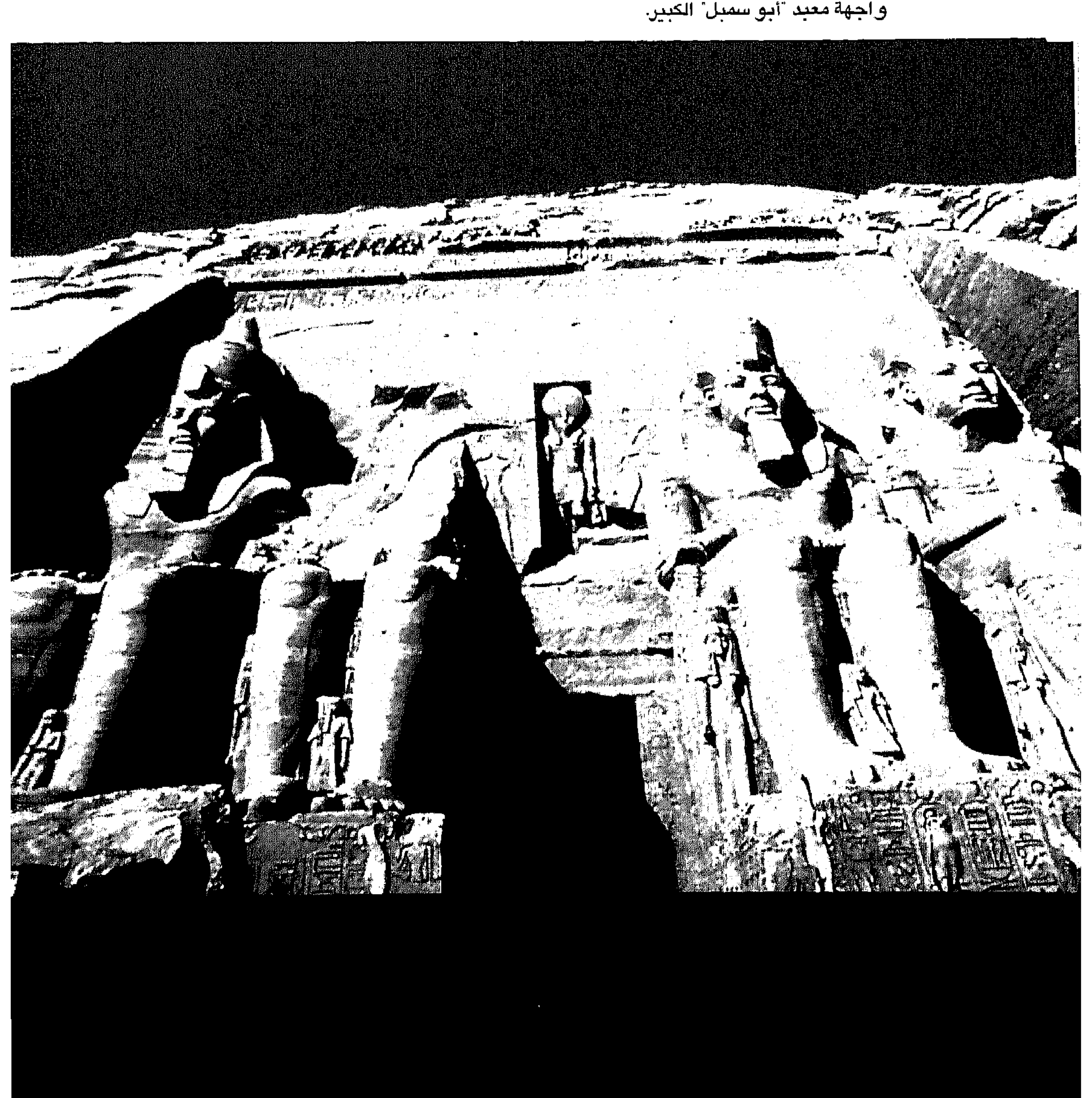
القردة المهللة لإله الشمس - مقبرة سنجم بدير المدينة.

الحسابات "رع مس". يا أيتها الذهبية أنت من يحب ويرغب . يا من تستحقين المديح عوضيني . . . . . . ". وتبني رع مس تلميذه "قن حر خبش إف" الذي ترقي إلى مرتبة الكاتب لكنه لم يكن بالرجل الأمين حيث إتهم بقبول رشاوي واستغلال نفوذه وإجبار العمال على القيام بأعمال خاصة خلال أوقات عملهم الرسمية وكان لـ "قن" طموح علمي، فعثر في مكتبته علي كتب تفسير أحلام و حظيت أرملته "نخت" بشهرة واسعة بين الأثريين، من خلال الوصية الشهيرة التي تركتها في ساحة قضاء دير المدينة تحرم فيها بعض أبنائها من أن يرثوها لأنه أهملها ولم يعتن بها في كبرها.

وتمتعت المرأة في مجتمع دير المدينة بحقوق مساوية للرجل فكان من حقها أن ترث وتمتلك وتتصرف في ما تملك بل وتمارس حقها في التجارة، ومن حقها عند

المخاصمات أن تلجأ إلى المحاكم وترفع الدعاوي ضد من تختصم.
ففي إحدى قضايا قرية العمال بدير المدينة، اتهمت نساء بسرقة بعض المتلكات، ومنها قضية خاصة بمن تدعى "حورية" اتهمت بسرقة أزميل من نحاس خاص بأحد العمال، وأنكرت الاتهام وأقسمت قسماً كبيراً بالآلهة أنها لم تسرقه، وعند تفتيش مسكنها، عثر على الأزميل فضلاً عن عدد من المسروقات، منها أدوات خاصة بالمعبد، فوجهت إليها تهمتا السرقة والقسم كذباً بالإله "آمون". ولما كان العقاب الذي تستحقه هو الموت، وهو عقاب يلزم التصديق عليه من الملك أو الوزير، تم تحويل قضيتها إلى محكمة عليا. ويحتمل أن النص الذي لدينا ربما كان مسودة التقرير الذي أرسل إلى الوزير مسجلاً أولى قضايا السرقة التي تتهم فيها امرأة، فضلاً عن قضية سيدة أخرى إتهمت بسرقة إناء من البرونز، وكان الحكم عليها أن أمر الوزير كاتبه باصطحابها إلى حافة النهر، لكننا لانعرف يقيناً مدلول ذلك الأمر، وإن ذكرنا ذلك الحكم بما كان يحدث فى العصر المملوكى إذ كان يساق المحكوم عليهم بالاعدام إلى شاطئ النهر حيث ينفذ الحكم. وثمة قضية أخرى ضد عامل اسمه "حاي" ادعى عليه ثلاثة رجال وامرأة بسب الملك الحاكم لكن الشهود برأوه.

واجهة معبد "أبو سمبل" الكبير.



معبد "أبو سمبل" الكبير

يعد معبد أبو سمبل الكبير أعظم معابد النوبة تأثيراً في النفس لإعجازه المعماري وروعته الفنية ومناظره التاريخية والدينية المهمة ؛ ولتناسقه مع البيئة المحيطة به. وقد نحت هذا المعبد بارتفاع ٣٣ متراً وبعرض ٣٨ متراً وبعمق ٦٢ متراً في الصخر، وقد عثر ضمن نقوش المعبد علي نقش يؤرخ بالسنة الخامسة والثلاثين من حكم الملك "رمسيس الثاني" أي حوالي عام ١٢٢٧ ق.م. فلابد أن المعبد كان حينذاك قد تم تشييده مما يشير إلي أن عمره يزيد عن ٣٢٠٠ عام ومع ذلك فلا يزال شامخاً بين ربى الصحراء مهيباً مبهراً في أي وقت من أوقات النهار ويكفي لإدراك عظمة ذلك المعبد أن نتصور أن كنيسة نوتردام في باريس أو كنيسة القديس بطرس في الفاتيكان قد نحتت في كتلة واحدة من الصخر كما حدث في أمر ذلك المعبد.

وقد أقام رمسيس الثاني هذا المعبد لعبادة إله الشمس رع حور آختي، بالإضافة إلي عبادته هو نفسه كإله، ومن ثم فقد وجّه محوره وجهة خاصة قبل أشعة الشمس المشرقة عند الشفق حين تبدو ربى الشاطئ الشرقي للنيل محمرة اللون. ولا تلبث أشعة الشمس أن تنعكس علي صفوف من القردة أعلي الواجهة، ترفع أيديها مهللة ومتعبدة، بينما تنطلق الطيور مغردة لانتصار الحياة والحركة علي الموت والسكون. ثم تقع أشعة الشمس علي التماثيل العملاقة وكأنها تمنحها القوة والصمود. وأخيراً تتوغل الشمس في صالة الأعمدة الكبري فتغمر الأعمدة الأوزيرية بضوئها الذهبي.

وهذا المعبد هو الوحيد من نوعه الذي تتوغل أشعة الشمس في أعماقه ٦٠ متراً لتصل في النهاية إلي قدس الأقداس يومين من كل عام، فتضئ ثلاثة من التماثيل الأربعة المنحوتة بداخله، وهي تماثيل رع حور آختي معبود هليوبوليس وآمون معبود طيبة وتمثال الملك رمسيس الثاني الذي يتساوي مع هذه الآلهة، أما التمثال الرابع فهو لبتاح معبود منف ورب العالم السفلي وراعي الفنانين فيقع إلى أقصي اليسار ولا تصله الأشعة الضوئية ،لأنه يجب أن يبقي في ظلام إلي الأبد مثله في ذلك مثل حالة العالم السفلي، وتستمر ظاهرة تعامد الشمس الفريدة حوالي ٢٠ دقيقة، ويأتي كل عام آلاف من زوار المعبد من كل أنحاء العالم لمشاهدة وجه رمسيس الثاني مشرقاً بأشعة الشمس. وهذه الظاهرة ليس لها أية صلة بميلاد وتتويج الملك رمسيس الثاني كما هو معروف خطأً ، وإنما هي ظاهرة فلكية فريدة استطاع مصمم هذا المعبد أن يبرزها، ليؤكد صلة هذا المعبد بالشمس فهو معبد الشمس المشرقة المتصل بالإله رع حور آختي.

واجهة المعبد

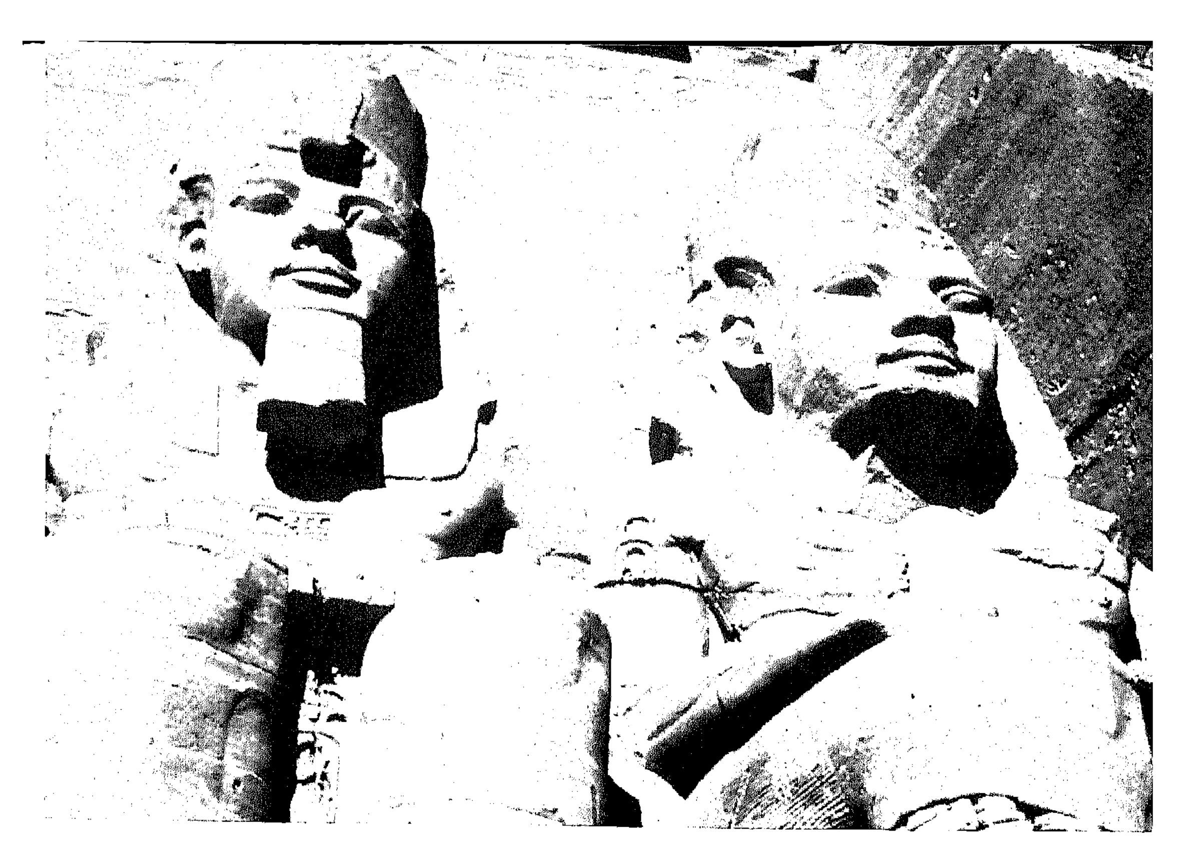
لعل أروع أجزاء هذا المعبد، هو واجهته، التى تعد من أروع ما نفذ المهندس المصري القديم لنجاحه في خلق نوع من التناسق الإبداعي والإنسجام الفني بين أجزائها وعناصرها والتوافق المعماري بين الأثر والبيئة الصحراوية المحيطة به، وتشكل هذه الواجهة صرح المعبد الذي يبلغ ارتفاعه ٣٢ متراً وعرضه ٣٨ متراً.

وأمام هذا الصرح البارز من الصخر شرفة علي إمتداد طوله يصل إليها بواسطة درج قليل الارتفاع، وتكتنف هذا الدرج لوحتان حجريتان، الجنوبية منهما حصل عليها محطمة ثم أعيد ترميمها ووضعت في مكانها الأصلي وهي مزينة بمناظر الملك "رمسيس الثاني" يحرق البخور للآلهة "آمون رع" و" بتاح" و "ور ت حقاو" المصورة برأس الأسد وجسم أنثي فضلا عن نص كتب بالخط الهيروغليفي في ستة عشر سطراً. أما اللوحة الشمالية فقد صور عليها "رمسيس الثاني" مقدماً باقة من الزهور لـ "آمون" و "رع حور آختي" و"جحوتي"، وتصطف بطول هذه الشرفة تماثيل لصقور كانت رمزاً لإله الشمس، وكذا تماثيل للملك في هيئة الإله أوزير لكنها تبدو ضئيلة للغاية إذا قورنت بالتماثيل الأربعة العملاقة لرمسيس الثاني التي تزين الواجهة.

وقد نحتت هذه التماثيل في كتلة الحجر الرملي بشكل يتناسب مع وضعها في التصميم العام للواجهة وبصورة تجسد ألوهية وقدسية ذلك الملك وقوته ومركزه الطاغي، وتؤكد ذلك الألقاب المنقوشة علي أكتاف التماثيل مثل شمس الحكام وحاكم الأرضين علي التمثالين الجنوبيين، ثم محبوب آمون ومعبود آتون (أحد أرباب الشمس) علي التمثالين الشماليين، ولابد أن هذه التماثيل كانت مرتبطة بطقوس دينية خاصة ربما باشرها الملك بنفسه في "أبو سمبل" وغيرها من الأماكن.

ويبلغ ارتفاع هذه التماثيل قرابة عشرين متراً، وتمثل الملك جالساً وقد تحلى برموز الملكية كاللحية المقدسة والتاج المزدوج وقد التفت حول ساقي كل تمثال، تماثيل أصغر لأمه الملكة "تويا" وزوجته الملكة "نفرتاري" وأبنائه "آمون حرخبشف" و"رعمسو" وبناته "نبتاوي" و"بنت عنات" و "مريت آمون". ويطل "رمسيس الثاني" من خلال هذه التماثيل الأربع علي نيل مصر.

وتحمل الساق اليسري للتمثال الجنوبي الثاني نقش "جرافيتي" دونه بالخط الإغريقي جند الإغريق المرتزقة بالجيش المصري الذي أرسله الملك بسماتيك الثاني من الأسرة السادسة والعشرين الصاوية خلال القرن السادس قبل الميلاد إلي بلاد النوبة، وهذا النقش واحد من عدة نقوش تركها الجند المرتزقة من إغريق وكريتيين وساميين وغيرهم ممن كثر استخدامهم في العصور الفرعونية المتأخرة، ويبدو أن معظم واجهة ذلك المعبد بما تحمله من آيات فنية دفن بعد ذلك في رمال الصحراء

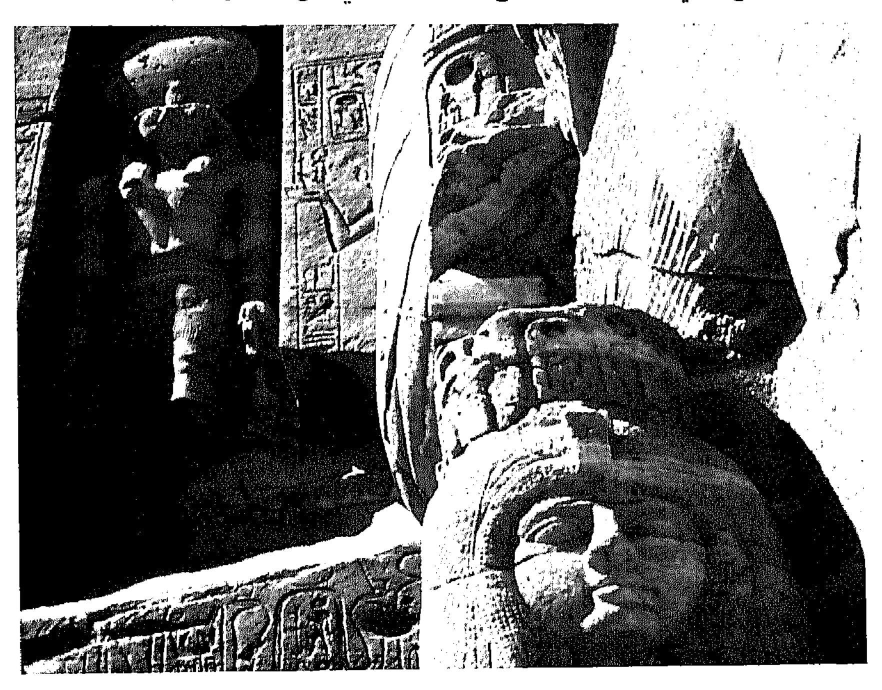


جانب من تماثيل واجهة المعبد الكبير.

النوبية، وهو ما يبرر عدم ذكره ضمن عجائب الدنيا السبع التي وصفها الإغريق بعد كتابة تلك النقوش "المخربشات" بما يتجاوز الألف عام فلم تتح لهم فرصة تقدير ذلك المعبد تقديراً مناسباً.

ومن الطريف أنه قد مرّ بذلك المعبد في عام ١٨٨٤م - أي بعد حملة بسماتيك بأكثر من ألفي عام - حملة الجيش المصري المعروفة بحملة النيل العسكرية التي كانت تضم ضباطاً بريطانيين أي عسكريين أجانب مثل حملة بسماتيك السابقة وكانوا في طريقهم إلى الجنوب للقضاء علي ثورة المهدي في السودان. وتركت تلك الحملة علي مشارف المعبد لوحة حجرية منقوشة مثلما فعل أسلافهم القدماء. كما تركوا أيضاً تابو ت أحد الضباط الإنجليز الذي لقي حتفه في الطريق ودفن في أرض غريبة عنه تماماً .وقد صور علي واجهة المعبد في المنتصف تماماً ذلك المنظر الفريد الذي يظهر "رمسيس الثاني" في شكل الملك حورس علي الأرض وهو يقدم القرابين للملك "رمسيس الثاني" في شكل إله الشمس، يوضح هذا أيضاً أن هناك أسباباً أخري لبناء المعبد فليس لتخليد وتأكيد ألوهية الملك فقط بل أيضاً يأخذ المعبد وضعاً إستراتيجياً مهماً لرهبة النوبيين وتأكيد سيطرة مصر العسكرية علي النوبة وتأكيد وجود آلهة مصر الكبري ، وأعتقد أن وجود القردة ممثلة أعلى المعبد وهي تبتهل

مـهللة لشروق الشمـس يؤكـد صلة المعبد بالشمس المشرقة.
ورغم حـرص المهندس المصري القديم الذي شيد المعبد علي سلامـة وقوة احتمـاله، فـإن الطبيعة سرعان مـا بدأت معركتها مع الأثر، وهي معركـة كثيراً ما تنتصر فيها الطبيعة علي مـا أبدعه الإنسان. وقد قام أحد خلفاء رمسيس الثاني بترميم واسع النطاق لجزء تداعى من التمثال المطل من الجهة الشمالية علي مدخل المعبد، كذلك سقط الجزء العلوي بما فيه الرأس من أحد التمثالين المطلين من الجهة الجنوبية علي المدخل وتناثرت قطعه الضخمة علي شرفة المعبد ويبدو أن زلزالاً عنيفاً كان وراء مـا حدث من تدمير لهذا التمثال، ولا يمكننا إلى الآن تحديد الوقت الذي تصدع فيه هذا التمثال، ورغم ذلك فإن هذه التماثيل تبدو الآن كما ظلت منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة شامخة تستقبل من يستطيع الوصول إليها في عظمة ووقار سرمدي.
ومن الجميل أنه بعد نقل المعبد إلى موقعه الجديد، تُرك الرأس المتناثر للتمثال الجنوبي في مكانه ولم يتم ترميمه وهذا أسلوب علمي في الترميم بحيث ترك المعبد كما هو عليه وكما اعتادت عليه العين. وقد ضمت الناحية الجنوبية من واجهة المعبد لوحة الزواج التي تتحدث عن زواج رمسيس الثاني من الأميرة الحيثية بعد ثلاثة



الملكة "نفرتاري" ومن خلفها نيشة الإله "رع حور آختي" تعلو مدخل معبد "أبو سمبل" الكبير.

عشر عام من عقد معاهدة السلام مع الحيثيين التي أكدت انتهاء الصراع بين شعبين من أعظم شعوب الشرق القديم حضارة.

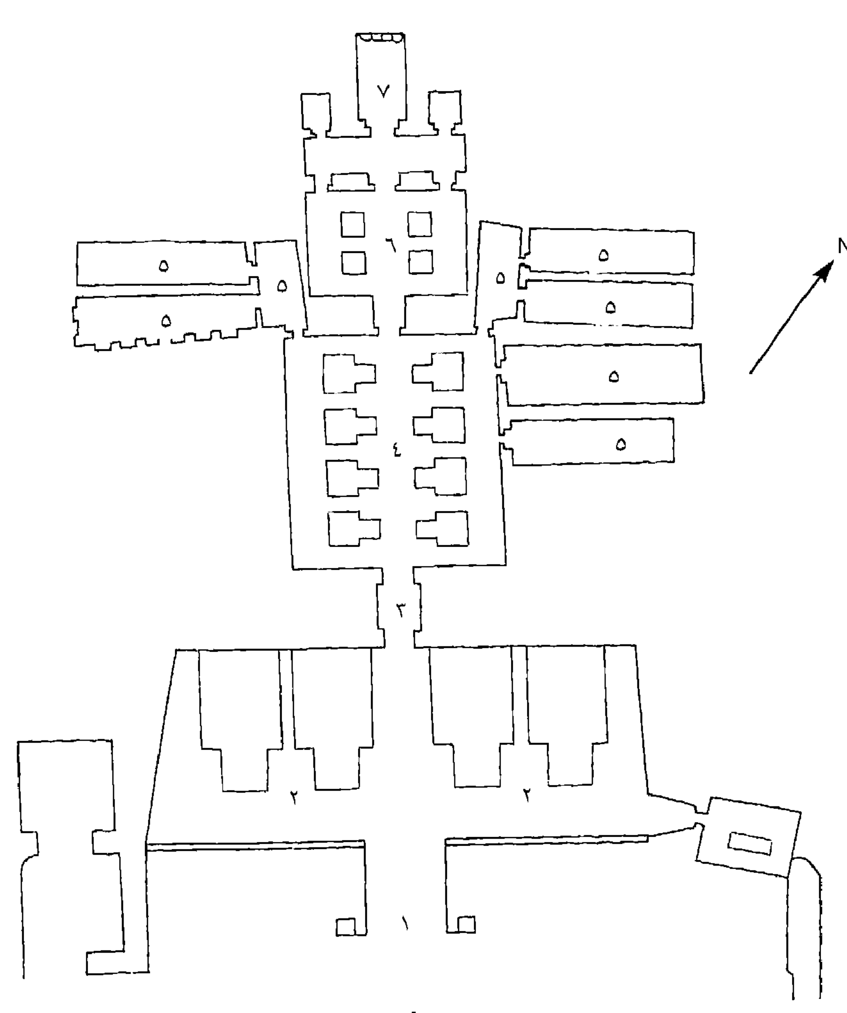
وقد صُور علي هذه اللوحة منظر للملك "رمسيس الثاني" جالساً في جوسقه بين إلهين مستقبلاً الأميرة الحيثية التي عرفت باسمها المصري "ماعت حور نفرو رع" وصورت آتيةً مع والدها الملك الحيثي "خاتوسيل الثالث" تحت حراسة خليط من الجنود المصريين والحيثيين محملةً بالهدايا الذهبية والفضية والخيل والماشية، وكان ذلك في العام الرابع والثلاثين من حكم "رمسيس الثاني" في يوم من أيام الشتاء القارسة البرودة، تلبدت سماؤه بالغيوم، وبمجرد دخول الفرعون ابن الشمس لاستقبالها، حدثت المعجزة وأشرقت الشمس وتبددت الغيوم تماماً، وقد صورت علي اللوحة الأميرة يتبعها أبوها وأمامهما رمسيس الثاني.

وتجاور لوحة الزواج، لوحة أخرى تعرف باسم لوحة "رخ بحتي إف" الذي كان يشغل منصب "سفير الملك في كل البلاد" علي أيام الملك "رمسيس سابتاح" ويتعبد "رخ بحتي إف" للإله "آمون رع" ذاكراً قيام الملك "رمسيس سابتاح" بزيارة لموقع المعبد في العام الأول عندما كان في طريقه لتنصيب المدعو "سيتي" نائباً للملك في كوش.

وللملك "رمسيس سابتاح" (سخا إن رع مري آمون) لوحة أخرى على الجدار الشمالي لواجهة المعبد، تصوره واقفاً أمام "آمون رع" و"موت" و"رع حور آختي" و"ست" و"عشتار" ومن أسفله منظر للموظف "سيتي" نائب الملك في كوش متعبداً مع ابنه "آمون محب" وحفيده.

وينتهي الطرف الشمالي من واجهة المعبد بمقصورة لآلهة الشمس اكتشفها برازنتي عند تنظيفه للمعبد عام ١٩١٠م، وقد نحت جزء منها في الصخر وبني الجزء الآخر، كما كان لجدراها الشرقي برجان يعطيانه شكل الصرح، حفلت جدرانها بعديد من مناظر التقديمات من الملك "رمسيس الثاني" إلى المعبودات المختلفة، فصور على الجدار الشرقي لهذه المقصورة متقرباً لـ "آمون رع" و"بتاح" وصور كذلك جاثياً ومتوجاً إلى الإلهين "ورت حقاو" و"رع حور آختي" ومن خلفهما "جحوتي" إلا أن أهم ما عثر عليه في هذه المقصورة ، مذبحان أحدهما يقوم في وسطها وفوقه أربعة تماثيل لقردة في وضع تعبد وعلى جانبيه مسلتان صغيرتان. أما المذبح الثاني فيقع في وسط الجدار الشمالي من المقصورة ويعلوه تمثال قرد المعبود تحوت إله الحكمة وجعران كبير، ونقلت المسلتان والجعران وتماثيل القردة إلى متحف النوبة في أسوان ووضعت فوق قاعدة خشبية تشبه المذبح الحجري الموجود بالمعبد.

وتقع في مقابل هذه المقصورة علي الجانب الجنوبي لواجهة المعبد، مقصورة أخري صغيرة للمعبود تحوت تضم صالة خارجية ذات جدران من اللبن وهيكلاً منحوتاً في الصخر وتزين جدرانها مناظر دينية ما تزال تحتفظ بألوانها الطبيعية وتمتد علي جانبي المقصورتين لوحات ونقوش صخرية عديدة.



تخطيط معبد "أبو سمبل" الكبير

١ - مدخل
٢ - واجهة المعبد
٣ - ممر
٤ - صالة الأعمدة الكبرى
٥ - حجرات جانبية (مخازن)
٦ - صالة الأعمدة المستعرضة
٧ - قدس الأقداس

وتعلو الواجهة تماثيل منحوتة في الصخر لقردة مهللة لأشعة الشمس حين تبزغ في الصباح الباكر من بين التلال، ويتوسط الواجهة، المدخل الذي يفضي إلى داخل المعبد والواقع بين التمثالين الشماليين والتمثالين الجنوبيين ، تعلوه فجوة (نيشة) بها تمثال إله الشمس "رع حور آختي" علي شكل صقر يتوج رأسه قرص الشمس ويحمل في يده الصولجان (وسر) بينما رمسيس الثاني علي جانبي النيشة يقدم المعبودة "ماعت" رمز الصدق والحق والعدل والنظام إلى معبود الشمس رع فينتج عن ذلك تكوين رائع لاسم التتويج لرمسيس الثاني "وسر ماعت رع".

وقد نقش علي جانبي المدخل فوق كرسي عرش رمسيس الثاني في التمثالين العملاقين اللذين يكتنفان المدخل عن يمين وعن يسار، منظران لنيل الشمال والجنوب المثلين برجلين ممتلئين يضعان علي رأسهما زهرة اللوتس و نبات البردي ويرمزان الى نيل مصر المقدس الذي قدسوه وسموه "حعبي" وعدوه رب الرزق وخالق الكائنات وواهب الحياة ، وفي أسفل منظري النيل صور أسري راكعين . فنري الأسري النوبيين والزنوج علي الحائط الجنوبي للمدخل بينما صور الأسري الآسيويون والليبيون علي الحائط الشمالي.

ومن أهم المناظر المصورة علي واجهة المعبد، منظر يمثل رمسيس الثاني وهو ملك يقدم لنفسه القرابين وهو إله، وهذا منظر فريد في نوعه، يؤكد أن هذا المعبد لم يبن كي يبهر النوبيين ويظهر لهم الآلهة المصرية فقط بل كي يؤله رمسيس الثاني نفسه من خلال بناء هذا المعبد.

وإلى الجنوب من شرفة المعبد الأمامية، توجد مقصورة يري البعض أنها قد تكون بمثابة بيت للولادة إلا أنها لا تحوي أية إشارات نصية أو تصويرية لعملية الولادة وقد زينت جدرانها بمناظر لتقديمات عديدة يؤديها الملك ومن خلفه "كاؤه"، إلى مختلف الآلهة مثل "جحوتي" و"رع حور آختي" و"آمون رع" و"ماعت" إلا أن أهم ما يثير الانتباه في هذه المقصورة هو "جرافيتي" تركه بالخط الهيراطي المدعو "ونتاوات" الذي شغل منصب "نائب الملك في كوش" علي أيام الملك "رمسيس الرابع".

صالة الأعمدة الكبرى

صور على واجهة المدخل المؤدي إلى صالة الأعمدة الكبرى، منظران للملك "رمسيس الثاني"، في الأول يجري ممسكاً علامة "حعبي" ومجدافاً أمام "آمون رع" و"مو ت"، وفي الثاني يجري ممسكاً أواني "حسي" أمام "رع حور آختي" و"ورت حقاو". ويبلغ طول هذه الصالة ٢٠ متراً وعرضها ١٨ متراً تتوسطها ثمانية أعمدة مربعة عليها مناظر للملك رمسيس الثاني مع العديد من الآلهة المصرية. ويبلغ ارتفاع هذه الصالة حوالي ٩ أمتار وقد شكلت جوانبها المطلة على الردهة في هيئة تماثيل

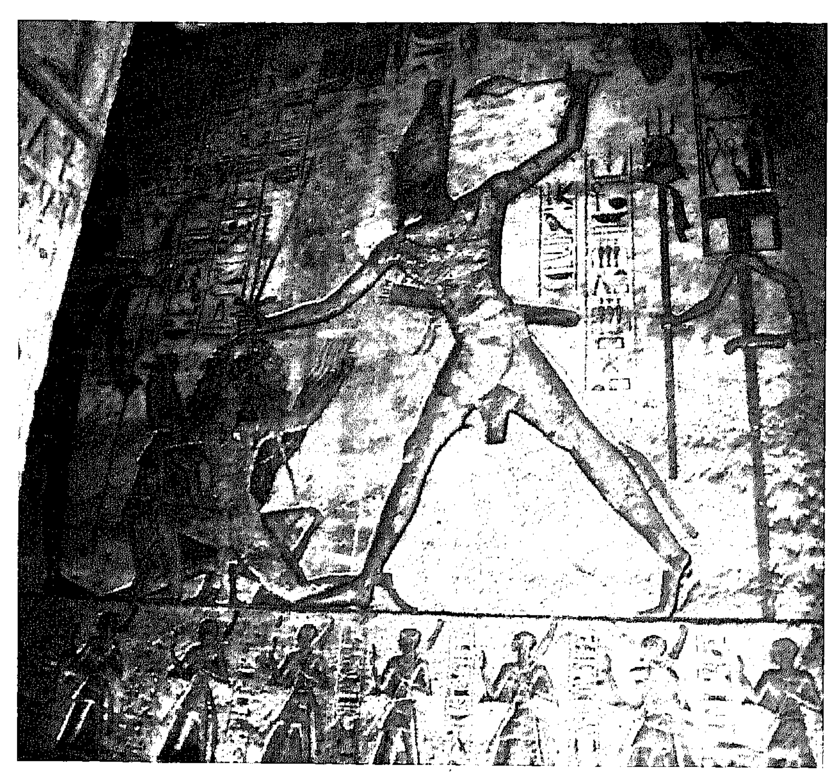
ضخمة لرمسيس الثاني في هيئة أوزير رب العالم الآخر الذي بعث من جديد بعد موته، الذي يتوحد معه الملك عند انتقاله إلى العالم الآخر، تؤكد ذلك الألقاب الملكية التي دونت علي أكتاف التماثيل، ولا شك أن التأثير الذي تحدثه هذه التماثيل الضخمة التي ما تزال في حالة جيدة من الحفظ، لا يمكن وصفه سوي بأنه تأثير رائع أخاذ يشيع في النفس الرهبة والسكون.

وقد ازدحمت جدران هذه الصالة بمناظر مختلفة تسجل معظمها مواقف رمسيس الحربية، فإذا بدأنا بالجدار الشرقي للصالة - علي جانبي المدخل - نجد على الجانب الشمالي منظراً يمثل "رمسيس الثاني" متبوعاً بـ"كائه" وهو يضرب أعداءه من الليبيين أمام المعبود "رع حور آختي" الذي يمنحه "السيف المقدس" رمز الملكية المصرية، ومن أسفله صورت ثمانية من بناته يحملن الصلاصل هن "بنت عنات" و"باقت آمون" و "نفرتاري" و"مريت آمون" و"نبت تاوي" و"إيست نفرت" و"حنوتاوي" و "ورنورا" و "نجم موت". وفي نهاية هذا الجدار جرافيتي لكل من "بيا" نحات الملك "رمسيس الثاني" و"بانفر" القائم علي قرابين الملك.

أما على الجانب الجنوبي من هذا الجدار، صور "رمسيس الثاني" ومن خلفه "كاؤه" يضرب الأعداء من النوبيين أمام "آمون رع "وأسفله ثمانية من أبنائه هم "آمون حرخبشف" و"رعمسو" و"بارع حري ونمف" و"خع إم واست" و"منتو حرخبشف" و"نب خارو" و"مري آمون" و"ست إم ويا".

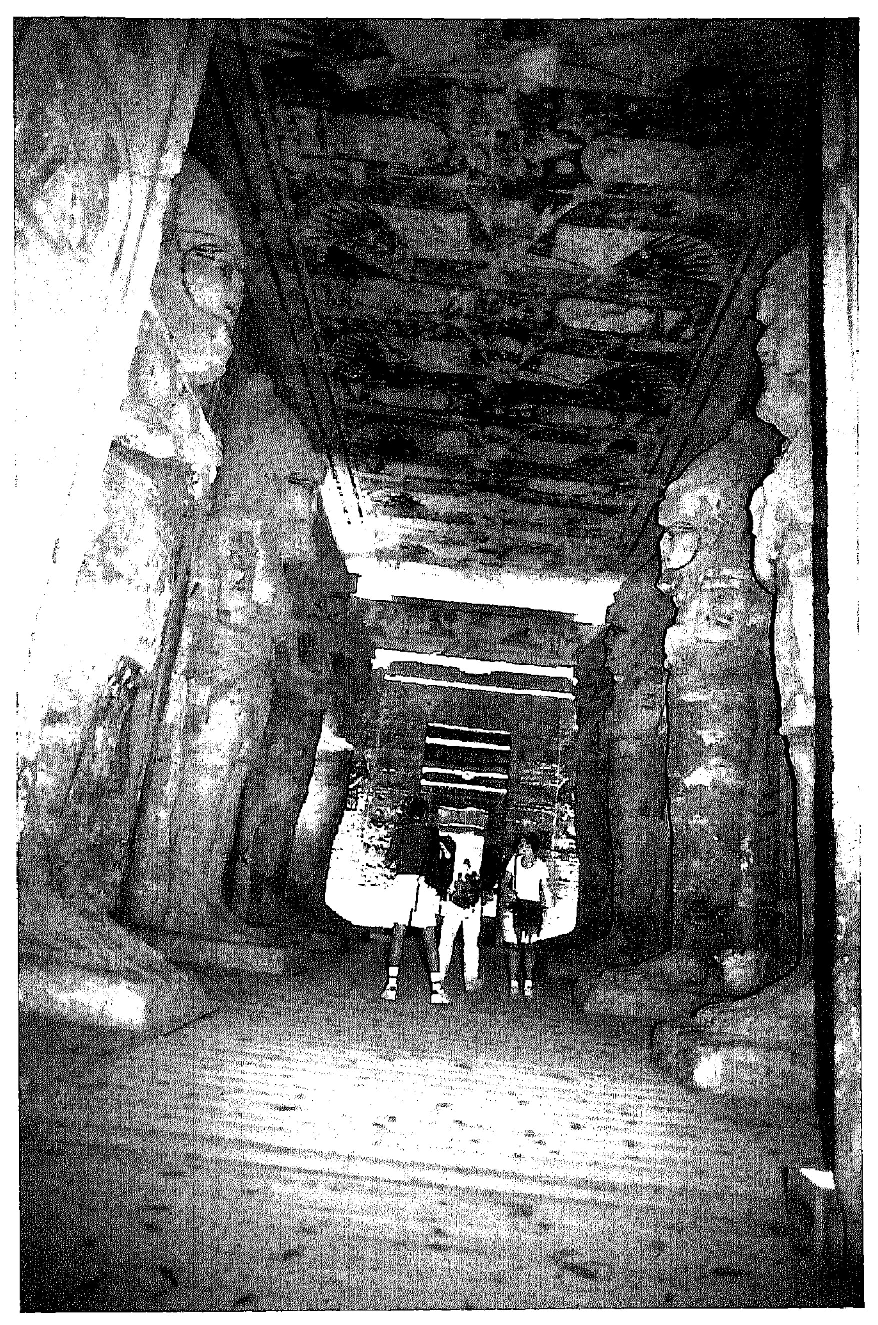
ونقشت علي الجدار الجنوبي، ثلاثة مناظر حربية أفاضت في وصف قوة وشجاعة الملك الخارقة، ومن يراها يدرك مدي إيمان المصري القديم في ذلك العهد بالملكية المقدسة. يمثل المنظر الأول فرعون مصر رمسيس الثاني، وقد اعتلى عجلته الحربية ووراءه بعض أبنائه مهاجماً قلعة دابور (شمال دمشق)، ونري بعض رجالها يتساقطون من فوق أسوارها، بينما زملاؤهم يتضرعون لفرعون طلباً لرحمته في حين يسوق أحد الرعاة ماشيته رافعاً يديه طالباً الرحمة، متمنياً النجاة.

أما المنظر الثاني، فيمثل رمسيس الثاني ينازل عدوين يغلب على الظن أنهما ليبيان وقد نجح في القضاء على أحدهما الذي سقط تحت أقدامه، بينما أوشك على القضاء على الثاني الذي استسلم لمصيره المحتوم، في حين مثل المنظر الثالث الملك يسوق عجلته الحربية. ويوجد على إحدى المناظر الموجودة بالجانب الجنوبي الشرقي، منظر للملك وهو يطلق سهامه علي أعدائه، وقد وضح أن اليد الخاصة بالملك يوجد أعلاها خط آخر، يحاول البعض تفسيره خطأً أنه يمثل يد الإله "آمون" الذي يساعد الملك في حروبه لهزيمة الأعداء. وأعتقد أن التفسير الصحيح لهذا المنظر ، هو أن الفنانين عندما بدأوا في رسم مناظر الجانب الجنوبي قاموا بعمل أخطاء في تنفيذ تصوير خطوط التشريح لجسم الإنسان لذا عندما جاء كبير الفنانين للمراجعة استطاع أن يصحح هذه الأخطاء.



رمسيس الثاني منتصراً على أعدائه في حضرة الإله "آمون رع" – معبد "أبو سمبل" الكبير.

وقد نقش علي الجدار الشمالي للصالة أهم مناظرها التي تمثل معركة قادش التي دارت بين رمسيس الثاني وملك الحيثيين في آسيا الصغري والذي حاول القضاء علي النفوذ المصري في سوريا ولبنان والتي خلدتها تلك القصيدة المدونة علي البردي والمعروفة بقصيدة "بنتاؤور" التي تقص لحظة مناجاة رمسيس لأبيه آمون الذي استمع إلى مناجاته وجاءه واعداً إياه بالمساعدة بعد أن كاد العدو أن يهزمه، وقد أدت شجاعة واستبسال رمسيس ومعاونة آمون إلى تحويل الكارثة المنتظرة إلى الانتصار والفوز اللذين مهدا لعقد معاهدة السلام مع الحيثيين وهي أمجاد عاش رمسيس علي ذكراها بقية عمره المديد، وتشبه مناظر هذه المعركة المناظر التي سجلت علي جدران معابد الرامسيوم وآمون بالكرنك والأقصر. حيث تبدأ بمنظر لتحرك الجيش المصري بفرق المشاة وعجلاته الحربية لمقاتلة الأعداء، ثم منظر يصورمعسكر المصريين الذي نصبوه في الطريق وقد بدا الجنود في فترة راحة وحالة استرخاء ، يلي ذلك منظر رمسيس الثاني جالساً علي عرشه الفخم يحرسه جنوده من الشردانة (من شعوب جزر البحر المتوسط) ومن المصريين وقد عقد



صالة الأعمدة الكبرى بالمعبد الكبير.

مجلس الحرب مستمعاً للتقارير المقدمة إليه، وفي ذلك المنظر أسيران يبدو أنهما من جواسيس الحيثيين وقد أمسك بهما الجنود المصريون الذين يستعدون لضربهما لإجبارهما علي البوح بحقيقة وضع الحيثيين وقواتهم.
وهناك بعد ذلك منظر لنهر العاصي في سوريا حيث تقع مدينة قادش الحصينة بينه وبين أحد فروعه وقد امتلأ النهر بالحيثيين الذين ألقاهم رمسيس الثاني في متاهة، كما نرى المعارك بين عجلات المصريين الحربية وعجلات الحيثيين. وأخيراً منظر رمسيس الثانى مع ضباطه يقيمون أكواماً من أيدى قتلى الأعداء. وهنا نجد جرافيتى لكل من المدعو "حوي" والمدعو "خنوم نجم" و "ست موسى" وجميعهم من الكهنة.
أما مناظر الجدار الغربى للصالة، فتصور الملك يقدم صفين من الأسرى النوبيين لـ "آمون رع" وللملك المؤله "رمسيس الثانى" وللإلهة "موت" وقد صوروا جميعاً داخل جوسق، ومنظر آخر للملك يقدم صفين من الأسرى الحيثيين للإله "رع حور آختى" وللملك المؤله "رمسيس الثانى".
وزينت أعمدة الصالة بعدة مناظر لتقديمات يقدمها "رمسيس الثانى" والملكة "نفرتارى" وابنتهما "بنت عنات" لمختلف الآلهة مثل "عنقت" و"أنوريس شو" و"ماعت" و"جحوتى" و"ساتت" و"حورس باكى" و"موت" و"رع" و"حتحور" و"رع حور آختى" و"آمون" و"آمون مين كاموت إف" والإلهة "إيزيس" و"رعت تاوي" و"مين".
وتمثل رسوم سقف هذه الصالة طيور ذات أجنحة منشورة وتمثيل بديع لنجوم السماء، ويفضي الجدار الشمالي للصالة الكبري إلى حجرتين جانبيتين زين بعض جدرانهما مناظر للملك مع معبودات مختلفة، بينما شقت في الجدار الغربي للصالة المداخل الثلاثة يؤدي الأوسط منها إلى صالة الأعمدة الثانية.

الصالة المستعرضة

يقع فى منتصف الجدار الغربى لصالة الأعمدة مدخل يؤدى إلى صالة مستعرضة بها أربعة أعمدة، كان على جانبى هذا المدخل تمثالان من الحجر الرملى فى هيئة "أبو الهول" نقلا إلى المتحف البريطانى بعد أن كان ضمن مجموعة "ساليه الخاصة"، وتمثال من الحجر الرملى كرسه "باسر" نائب الملك في كوش للمعبود "آمون" والمعبودة "موت" سيدة "إشرو" نقل إلى المتحف البريطانى، كما عثر على تمثال من الحجر الرملى لأسد يفتك بأحد الأسرى بالمتحف المصرى الآن. وتبلغ أبعاد الصالة المستعرضة ١٢×١١ متراً، وقد زينت أعمدتها، مناظر تمثل رمسيس الثانى فى حضرة الآلهة، كما زينت جدرانها مناظر دينية أهمها موكب الكهنة الحاملين للقارب المقدس وكأنهم يتجهون إلى داخل المعبد.
ويتوسط الجدار الغربى لهذه الصالة مدخل رئيسى ومدخلان جانبيان لا يحملان



قدس أقداس معبد "أبو سمبل" الكبير.

نقوشاً، وهكذا نحتت ثمان غرف جانبية إلى يمين ويسار قاعات المعبد الرئيسية كانت مخصصة لتخزين معدات العبادة والقرابين ومستلزمات الطقوس الدينية وخدمة الكهنة وما يحتاجون إليه في الحياة اليومية.

ويتوسط قدس الأقداس (المقصورة) القاعدة المكسورة حالياً التى كان يقف عليها المركب المقدسة، وتقع خلفها كوة تضم أربعة تماثيل جالسة للمعبود رع حور آختي إله الشمس معبود مدينة هليوبوليس، وللفرعون رمسيس الثاني مؤلهاً، ولآمون رب طيبة والمعبود الرئيسي للمملكة وقتذاك، وللإله بتاح رب العالم السفلي معبود مدينة منف، وهدف هذا التجمع المقدس هو إيجاد نوع من التوازن السياسي والديني هو أشبه بما يعرف في التاريخ بالتوازن بين السلطات السياسية والدينية أو بين الدولة والديانة.

معبد "أبو سمبل" الصغير
معبد الملكة نفرتاري

وإذا ما تركنا فناء المعبد الكبير واتجهنا شمالاً، يقابلنا المعبد الشمالي الذي نقره رمسيس الثاني في الربوة المجاورة لربوة معبده الكبير وكرسه لعبادة الربة حتحور سيدة إبشك ربة الحب والجمال والأمومة ومعها زوجته نفرتاري. ويعد هذا المعبد هو الآخر إنجازاً فنياً رائعاً لما تتميز به نقوشه من رقة بالغة وما تتسم به واجهته من إخراج بديع.

وتبدو واجهة المعبد في هيئة صرح يبلغ عرضه ثلاثين متراً وارتفاعه ثلاثة عشر متراً ويتكون من ستة تماثيل ضخمة متجاورة يبلغ ارتفاع الواحد منها أحد عشر متراً، يقسمها مدخل المعبد إلى مجموعتين من ثلاثة تماثيل إلى شمال المدخل وثلاثة أخرى إلى جنوبه، وتضم كل مجموعة تمثالين لرمسيس الثاني يتوسطهما تمثال لنفرتاري في صورتها المؤلهة مثلما صور زوجها في تماثيله في المعبد الكبير، إذ وضعت فوق رأسها قرص الشمس وعلي جانبيه قرني البقرة حتحور المقدسة كما تحمل الصلاصل (السستروم) - إحدى شارات حتحور المقدسة - بالقرب من



واجهة معبد الملكة "نفرتاري".

صدرها، وتتميز تماثيلها بما يغشاها من عظمة وروعة الآلهة وبما اتصفت به تلك الملكة من جمال ورقة. وتحمل تماثيل رمسيس الثاني خراطيشه علي الأكتاف ومعها بعض ألقابه الملكية المقدسة فقد حمل أحد التمثالين الشماليين لقب (شمس الملوك) وعلي الآخر (محبوب آتون) بينما دون علي أحد التمثالين الجنوبيين (حاكم الأرضين) ولمعبود آمون علي الأرض. وتحيط برجل كل تمثال، تماثيل صغيرة لأبناء وبنات الزوجين الملكين. وتبدو هذه التماثيل الضخمة للناظر وكأنها حية تخطو نحو النيل وتتجه إلى الأفق السرمدي اللانهائي.

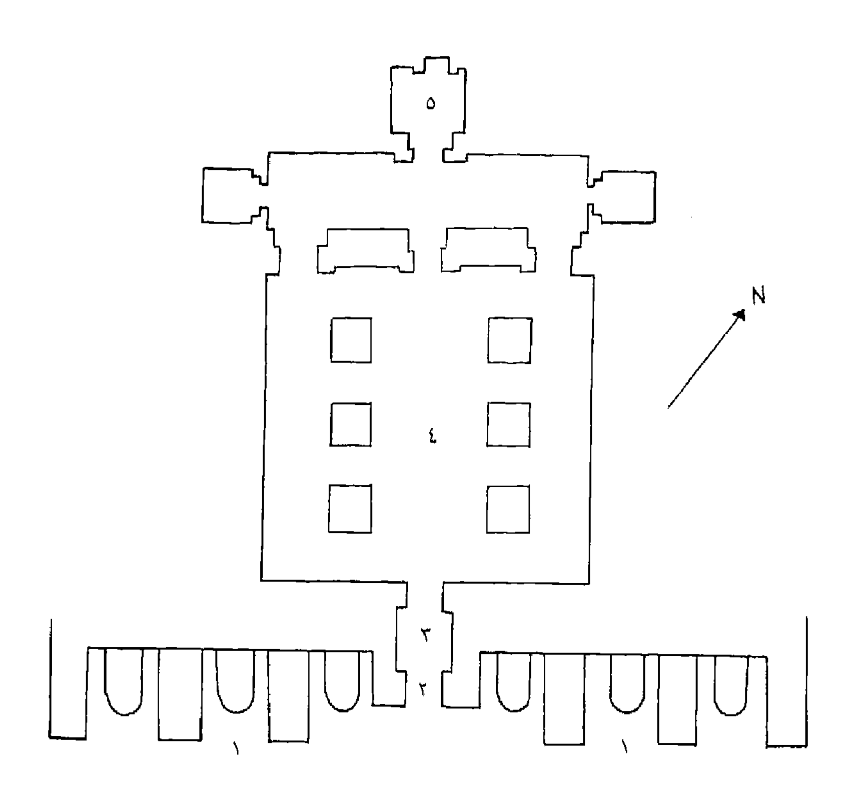
ويتوسط الواجهة، مدخل يفضي إلى صالة الأعمدة التي تضم ستة أعمدة مربعة مزينة من الأمام بصلاصل تحمل رؤوس حتحور، بينما تزدان جوانب الأعمدة وجدران الصالة بمناظر تمثل الملك والملكة يقدمان القرابين إلي الآلهة من زهور وصلاصل وغير ذلك. ويلاحظ أن رمسيس الثاني قد احتفظ في هذه المناظر بنصيب كبير كما فعل في واجهة المعبد حين مثل نفسه بأربعة تماثيل مقابل تمثالين لنفرتاري، ونجده في أحد هذه المناظر واقفاً بين المعبودين حورس وست يتوجانه بينما مثل في منظر آخر فى الوضع التقليدي يضرب أعداءه وهو المنظر الوحيد في المعبد الذي يتصل بالناحية الحربية علي عكس المعبد الكبير الذي تسيطر عليه مناظر المعارك الحربية وقدرات رمسيس الخارقة، ويتميز معبد نفرتاري بصبغته الأنثوية معبراً خير تعبير عن الملكة وجمالها ورقتها بذلك الأسلوب الفني المتميز للمصريين القدماء. كما صورت حتحور سيدة إبشك في أوضاع متعددة بوصفها المعبودة التي كرس لها المعبد بالمشاركة مع نفرتاري.

وتقع منطقة إبشك إلي الجنوب من "أبوسمبل" داخل الحدود السودانية بعيدة عن النيل، حيث كان يوجد مستنقع في تلك المنطقة الصحراوية وكأنه معجزة إلهية وأقيم بالقرب منه مقصورة للمعبودة حتحور.

ويضم معبد الملكة نفرتاري واحداً من أروع مناظر فن الرعامسة، وهو ذلك المنظر الذي يصور نفرتاري وقد وقفت بين المعبودتين إيزيس وحتحور تتوجانها وتمنحانها الحماية. وقد وصف الكاتب" ريكس كيتنج Rex Keating " في كتابه : "النوبة وقت الشفق Nubia in Jurgklight" هذا المنظر بقوله :

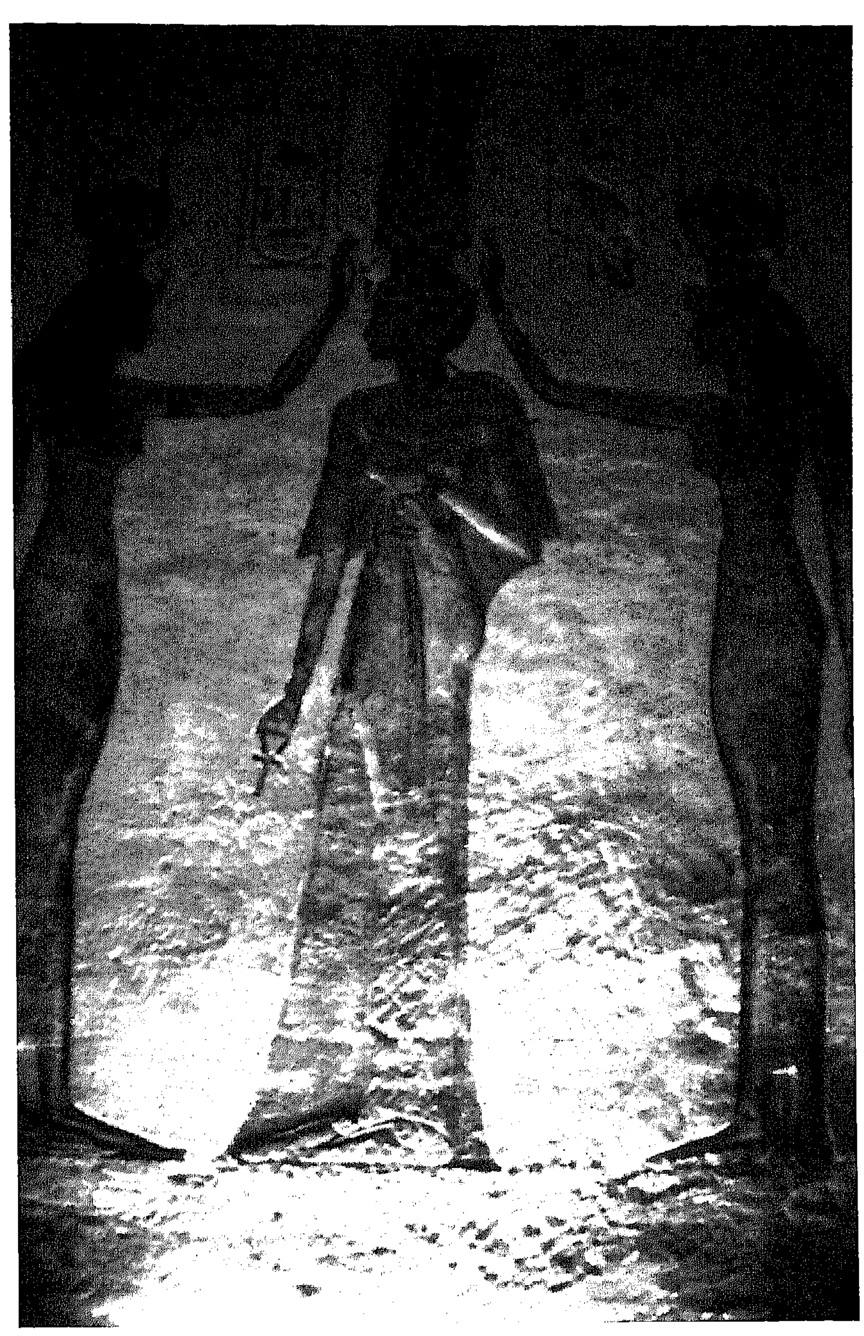
"إن هذه الصورة رغم رزانتها وانعزالها لشديدة الإغراء، نري فيها نفرتاري بين المعبودتين تتلقى الحماية من الربة حتحور خارجةً من الأحراش التي أخفي فيها حورس الطفل كما جاء ذلك برفقة أيزيس وأوزير".

وتنتهي هذه الصالة بمدخل إلى قدس الأقداس، وهي حجرة صغيرة برز من جدارها الغربي تمثال مهشم للبقرة حتحور ومثلت تحت رأسها الملكة نفرتاري واقفة وكأنها تستظل بحماية الربة حتحور المقدسة. ويبدو أن العمل لم يكتمل في هذا الجزء من المعبد حيث كان مفروضاً أن يحيط بقدس الأقداس ويضاف إلى صالة



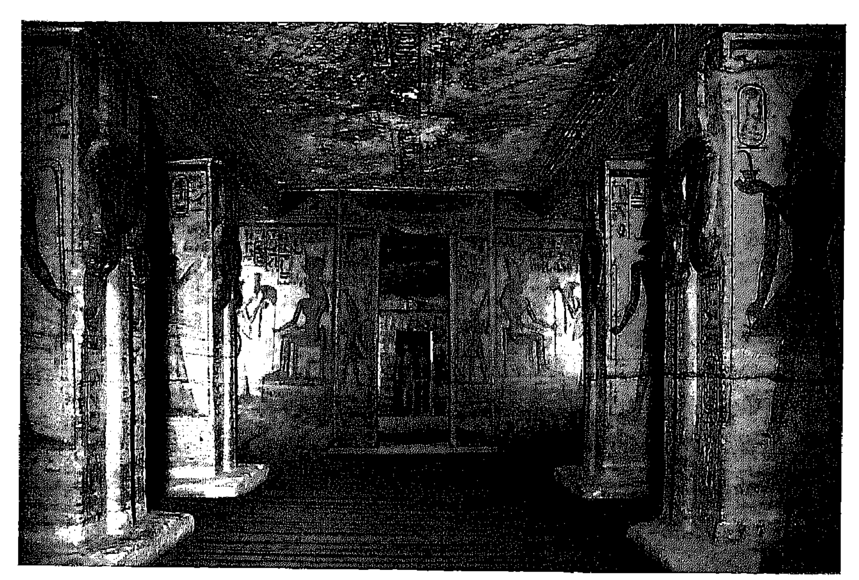
تخطيط معبد الملكة "نفرتاري"

١ - واجهة المعبد
٢ - مدخل
٣ - ممر
٤ - صالة مربعة
٥ - قدس الأقداس



تتويج الملكة "نفرتاري" داخل معبدها بواسطة الإلهتين "حتحور" و "إيزيس".

الأعمدة، بعض الحجرات الجانبية المخصصة للتخزين ولخدمة كهنة المعبد. ويوجد في الجدار الجنوبي للصالة المستعرضة مساحات خالية تركت للأبواب التي كان من المفروض أن تؤدى إلى بعض تلك الحجرات.



صالة الأعمدة بمعبد الملكة "نفرتاري" بـ "أبو سمبل".

معابد رمسيس الثاني في النوبة

بنى الملك "رمسيس الثاني" المعروف بـ"سيد البنائين" في مصر القديمة. أربعة معابد أخرى في النوبة غير معبدي "أبو سمبل" الكبير والصغير، وبعده ولمدة ألف عام لم يبن معبد واحد في النوبة.

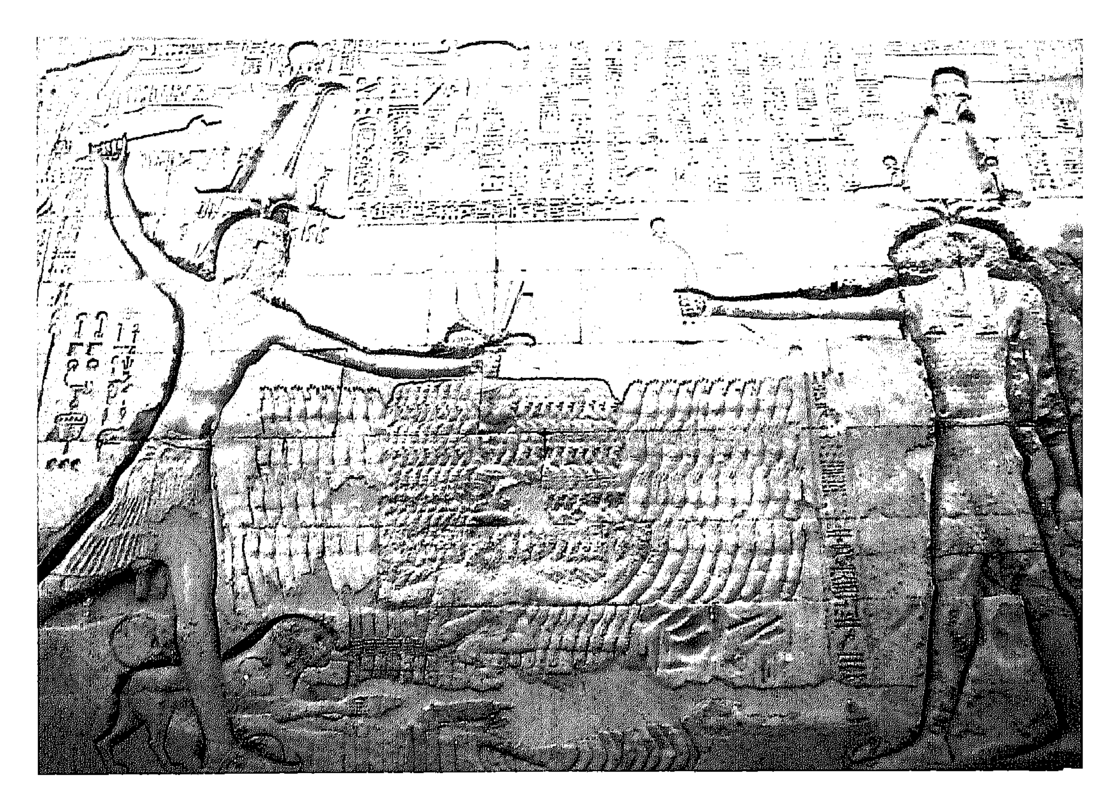
١- معبد بيت الوالي

يقع علي مسافة قصيرة إلى الشمالي الغربي من معبد كلابشة علي سطح أحد التلال، ونقره في الصخر الملك "رمسيس الثاني"، ويبعد عن جنوب أسوان حوالي ٥٥ كم، ويعتبر أقدم معابده الستة في النوبة. وكان مكرساً لعبادة الآلهة خنوم وآمون وعنقت، وأستخدم في العصر المسيحي النوبي ككنيسة. ونقل إلى الشمال الغربي من معبد كلابشة. وهو معبد صخري صغير. وترجع أهميته إلى احتواء جدرانه على نقوش بارزة تمثل بعض غزوات الملك "رمسيس الثاني" ضد النوبيين.

٢- معبد السبوعة

تقع منطقة السبوعة علي بعد ١٥٠ كم جنوب أسوان. وتضم المعبد الشهير للملك "رمسيس الثاني" ويعتبر ثاني أكبر معابد النوبة. وعرفت المنطقة باسم السبوع أو "السبوعة" ؛ نظراً لوجود مجموعة تماثيل "أبو الهول" أو ما يعرف بطريق الكباش علي جانبي مدخل المعبد.

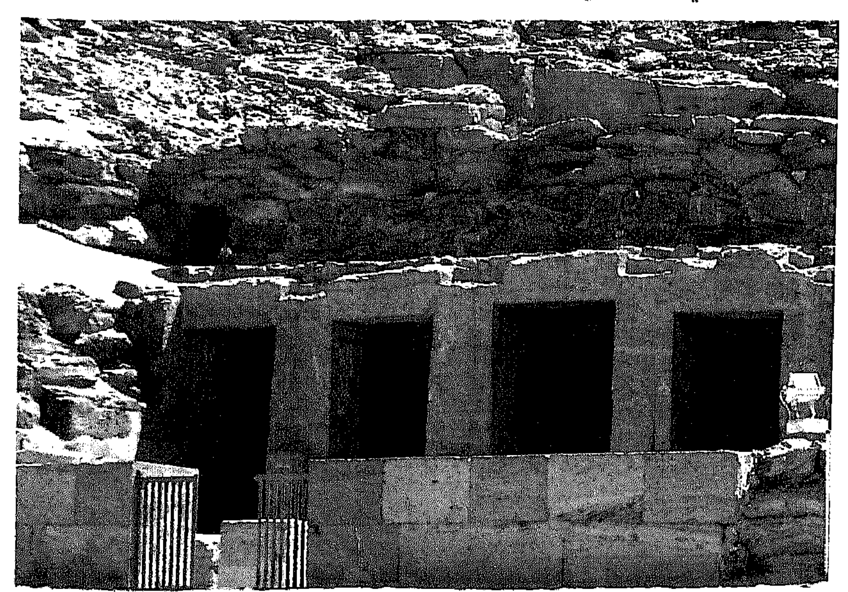
وكرس لعبادة الإله "آمون" والإله "رع حور آختي" و الملك "رمسيس الثاني" نفسه. وهو مشيد بالحجر، ونقل وأعيد تركيبه في منطقة جديدة عرفت بـ "السبوعة الجديدة" وتبعد أربعة كيلو مترات إلي الغرب من موقعه القديم. وقامت مصلحة الآثار المصرية بنقله بين الأعوام ١٩٦١ - ١٩٦٥م. وجدير بالذكر أن الذي أشرف على بنائه من أتباع الملك "رمسيس الثاني"، هو نائب الملك في كوش المدعو "ستاو" بين الأعوام الخامس والثلاثين والخمسين من حكم جلالة الملك "رمسيس الثاني".



رمسيس الثاني يذبح أعداءه أمام الإله "خنوم" - معبد السبوعة.

٣- معبد الدر

تقع الدر علي بعد حوالي ٢٠٨ كم جنوب أسوان، ونقر هذا المعبد في الصخر في عهد الملك "رمسيس الثاني" ، وكُرس لعبادة الإلهين "بتاح" و"آمون" والملك "رمسيس الثاني" نفسه. وتزخر جدرانه بمناظر بعض حملات الملك في بلاد النوبة. ويعد المعبد الفرعوني الوحيد علي الضفة الشرقية لبحيرة "ناصر". ونقل حوالي ١١ كم إلى الجنوب الغربي من الموقع القديم.



معبد الدر.

٤- معبد جرف حسين

هو معبد صغير بناه الملك "رمسيس الثاني" في المنطقة المعروفة بـ "جرف حسين". وأشرف على بنائه أيضاً المدعو "ستاو" بين الأعوام ٣٥ - ٥٠ من حكم سيده الملك. وله نفس تخطيط معبد السبوعة، وخصص لعبادة الإله بتاح، والملك رمسيس الثانى المؤله، والإله بتاح تاتنن، والإلهة حتحور. وهو في حالة سيئة من الحفظ. وقد أدخلت عليه إضافات عديدة في العصر المروي، ونُقل تمثال الملك "رمسيس الثاني" الذي كان موجوداً فيه إلى متحف النوبة بأسوان. ونقل المعبد أثناء حملة الإنقاذ مسافة قصيرة فوق الشاطىء.

المراجع

المراجع العربية

- زاهي حواس، "حدود مصر الجنوبية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى نهاية عصر الانتقال الثاني"، في : أنثروبولوجيا مصر (المؤتمر الأنثروبولوجي-مصر وأفريقيا) ، تحرير السيد حامد ، جامعة القاهرة (كلية الآداب - فرع بني سويف) ١٩٩٨، ص ١١٩-١٣٨.
- سعد عبد المنعم بركة،"الصلا ت الثقافية المبكرة بين مصر وأفريقيا خلال عصر ما قبل التاريخ". في : أنثروبولوجيا مصر،الجزء الثاني، تحرير السيد حامد وعلية حسن حسين ، جامعة القاهرة (آداب القاهرة - آداب بني سويف)، ١٩٩٥ ، ص٦٧-١٠٢.
- عبدالعزيز صالح، الشرق القديم، الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠.
- عبدالعزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، طبعة ١٩٦٢-١٩٩٢.
- محمد إبراهيم بكر، تاريخ السودان القديم، القاهرة، ١٩٧١.
- وولتر إمري ، مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة حندوسة ، ومراجعة عبدالمنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٠.

Bibliography

- Adams, W. Y. Nubia, Corridor to africa, London, 1977.
- Baines, J. & Malek, J. Atlas of Ancient Egypt, Oxford - New York, 1980.
- Beranl, M. Black Athena : The Afrocentric Roots of Classical Civilization, The Fabrication of Ancient Greece, New Brunswick, NJ : Rutgers University Press, 1987.
- Buter, K. W. & Hansen, C. L. Desert and River in Nubia, Madison, WI, 1968.
- Christophe, L. A. Abu Simbel, L'epopea di una scoperta archeologica, Torino, 1970.
- Curto, S. Nubia, Novara, 1965.
- Davies, W. V. (ed.). Egypt and Africa, London, 1991.
- Desroches-Noblecourt, Ch. & Kuentz, Ch. Le Petit Temple d'Abou Simbel I, Le Caire, 1968.
- Dunham, D. The Royal cemeteries of Kush I : El Kurrn, Boston, 1950.
-...................,The Royal ceneteries of Kush II : Nuri, Boston, 1955.
-...................,The Royal cemeteries of Kush IV : Royal tombs at Meroe and Barkal, Boston, 1957.
-...................,The Royal cemeteries of Kush V : The West and South Cemetries at Meroe, Boston, 1963.
-...................,The Barkal Temples, Boston, 1970.
- Edwards, D. N. Archaeology and Settlement in Upper Nubia in the 1st Millennium A. D., Cambrige Monographs in African Archaeology 36, BAR International Series 537, 1989.
- Firth, C. M. The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1901 - 1911,
Cairo Government Press, 1927.
- Gohary, J. Guide to the Nubian Monuments on Lake Nasser, AUC Press,1998.
- Hinkel, F. w. Exodus from Nubia, Berlin, 1977.
- Hawass, Z. Silent Images : Women in Pharaonic Egypt, AUC Press, 1998.
- Hochfield, S. & Riefstahl, E. (eds.). Africa in Antiquity I: The Essays, New York, 1978.
- Kemp, B. J. Ancient Egypt, Anatomy of a Civilization, London, 1989.
- Kitchen, K. A. Pharaoh Truimphant : The Life and Times of Ramsess II, King of Egypt, England & Canada, 1985.
- Leclant, J. "Egypt in Nubia during the Old, Middle, and New Kingdoms" in : Africa in Antiquity : The Arts of Ancient Nubia and the Sudan, Part 1, New York, 1978.

- Lichtheim, C. M. Ancient Egyptian Literature, Volume 1, The Old and Middle Kingdoms, Berkeley, Los Angeles & London, 1975.
- Marks, A. E. Preceramic Sites, The Scandinavian Joint Expedition to Sundanese Nubia, Vol. 2, Helsinki, 1970.
- Morkot, R. "Nubia in the New Kingdom : the Limits of Egyptian control," in : W. Davies (ed.), Egypt and Africa Nubia from Prehistory to Islam, 1991.
- Nordström, H. A. Neolithic and A-Group Sites, The Scandinavian Joint Expedition to Sundanese Nubia, Vol. 3, Uppsala, 1972.
- O'connor, D. Ancient Nubia : Egypt's rival in Africa, Uni. of pennsylvania, Philadelphia, 1993.
- Porter, B. & Moss, R. Topographical Bibliography, VII : Nubia, the Deserts and Outside Egypt, (revised J. Malek, Griffith Institute), Oxford, 1995.
- Reinold, J. "Neolithique Soudanais : les coutumes funeraire," in : W. V. Davies (ed.), Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam, London, 1991.
- Reisner, G. The Archaeological Survey of Nubia, Report for 1907 - 1908, Vol. 1, Cairo, 1910.
-.................., Excavations at Kerma, Cambridge, 1923.
- Säve-Söderbergh, T., Temples and Tombs of Ancient Nubia, The International Rescue Compaign At Abu Simbel, Philae and Other Sites, Paris & London, 1987.
- Siliotti, A. Egitto Templi, uominie dei, Vercelli, 1994.
- Sadr, K. The Development of Namadism in Ancient Northeast Africa, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 1991.
- Shinnie, P. L. Ancient Nubia, London & New York,1996.
- Taylor, J. Egypt and Nubia, London, 1991.
- Trigger, B. Nubia Under the Pharaohs, London, 1976.
- Trigger, B. G., Kemp, B. J., O'Connor, D. and Lloyd, A. B., Ancient Egypt : A Social History, Cambridge, 1994.
- Vandier, J. Manuel d'archéologie égytienne, Paris, 1952 - 58.
- Weeks, K. The Lost Tomb : The Greatest Discovery in the Valley of the Kings since Tutankhamun, AUC Press, 1998.
- Welsby, D. A. the Kingdom of Kush, London, 1996.
- Wenig, S. T. "Nubien," in : W. Helck and W. E. Otto (eds.), Lexikon der Ägypyologie, Band IV, Wiesbaden, 1980.
- Wildung, D. (ed.). Sudan : Ancient Kingdoms of the Nile, Paris, 1997.
- Williams, B. B. Excavations between Abu Simbel and the Sudan Frontier, Keith C. Seele, Director, Part 1 : the A-Group Royal Cemetery at Qustul : Cemetery L, Chicago, 1986.
- Zaba, Z. The Rock Inscriptions of Lower Nubia, Prague, 1974.



الدكتور زاهى حواس

يعتبر من أشهر الأثريين نظراً لاكتشافاته الأثرية المهمة، خصوصاً مقابر العمال بناة الأهرام، ووادى المومياوات الذهبية بالواحات البحرية الذى أحدث دوياً إعلامياً فى العالم كله.

ألف العديد من الكتب بالعربية والإنجليزية، أهمها كتاب "سيدة العالم القديم" الذى ستصدره قريباً دار الشروق، وكتب العديد من المقالات والكتب عن الأهرام المصرية، ويعتبر من المتخصصين القلائل في العالم في هذا العصر.

وحقق كتابه الأخير "وادى المومياوات الذهبية" الذى نشر بخمس لغات، أكبر المبيعات فى عالم كتب الآثار.

وحصل على درجة الأستاذية فى الآثار من جامعة لوس أنجلوس الأمريكية، ويقوم حالياً بالتدريس بها، وبكلية الآداب جامعة القاهرة والجامعة الأمريكية بالقاهرة.

حصل على جوائز عديدة عالمية، أهمها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى من السيد الرئيس حسنى مبارك، وجائزة الدرع الذهبية من الأكاديمية الأمريكية للانجازات، وجائزة العالم المصرى المميز لعام ٢٠٠٠ من جمعية العلماء المصريين بأمريكا.

حاصل على الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا الأمريكية، ويعمل حالياً وكيلاً لوزارة الثقافة ورئيساً لآثار القاهرة والجيزة.

